الامبراطورية ، منها الى عصر الفضاء . .

والاشارة الثانية للعصر تتحدث عن بشاعة القنبلة في قصيدتها « القنبلة » وهي ايضا تحمل ملامح ازمات ما قبل نصف قرن . . .

وهكذا نجد « ماري ويلسون » تواجه العصر برفض مواجهته ! تعبر عن سخطها عليه بتركه في الغرف المزدحمة بالنقاش وابخرة الويسكي والتبغ ، هاربة الى بيتها عند نهاية الغابة ، ولكن ، هل هذا ممكن شعريا وانسانيا ؟

بطاقات أيام زمان

واذا ذهبت لشراء بطاقة بريدية (بوست كارد) ترسل بها الى احد اصدقائك ، ستظن للوهلة الاولى انك ركبت عجلة الزمن خطأ وانها قذفت بك قبل نصف قرن . . . فالبطاقات البريدية هي اليوم منقولة عن بطاقات ايام زمان . . .

سترى الصورة التقليدية للمرأة السمينة المحتشمة واقفة في كنف زوجها ذي الشوارب والنظرة الرجولية . . ولكن شراء بطاقات تلك الايام لا تكفي وحدها لتكتب على وجهها الآخر كما كانوا يكتبون . . لقد جاء الزلزال ودمر كل الكلمات العتيقة والبطاقة لا تكفي وحدها لاسترداد روح عصر . . . وتشتري البطاقة . . . وتكتب على وجهها الآخر كلمات كعصرنا ، مليئة بالشراسة والخيبة والرفض . . ثم تلحظ الهوة بين الشكل والمضمون ، فتمزق البطاقة ، وترمي بها تحت عجلات قطار « المترو » بينما يعيدك هديره الى عصرك مرغما . .

الازياء أيضا

و« ماري كوانت » مصممة « الميني جوب » خضعت اخيرا لموجة الردة الى الماضي ، وصممت ازياء (محتشمة) تستوحي روح الثلاثينات . . .

فصورة الفتاة ـ الصبي عارية الساقين انتهى عصرها مع الستينات ، والآن في السبعينات تعود امرأة العشرينات والثلاثينات كتعبير عن الجوع الى الماضي ، بثيابها المكوية جيدا ووجهها المعتنى به ، وماكياجها الطاووسي المناخ ـ فقد كانت في تلك الايام تملك اوقات فراغ كثيرة وتستطيع ان تمنح نصف ساعة لرسم حاجبيها (!) لا كامرأة العصر التي لا تملك الا الركض خلف الباص في الزحام والـ (راش اور) حيث تمسح الريح عن وجهها اصباغ العصر الماضي ؟ ما جدوى ان تخرج مع امرأة لها شكل امرأة الثلاثينات لكن قلبها ينتمي الى السبعينات ؟

Akhawia.net

والاعلانات ايضـا

وقد وعت شركات الاعلان هذه الحقيقة ، ومن الملحوظ ان فتيات الاعلانات يرتدين مؤخرا ازياء العشرينات والملامح النفسية للعشرينات . . فمن رومانتيكية تراقص ضابطا ، الى فتاة « حجمة » بمفهوم تلك الايام . . . هذا النوع من الصور يلفت الانظار ولكنك تحس بزيفه ، وتتخيل الفتاة التي ترقص والضابط « التانغو » تسارع لارتداء بنطلونها « الجينز » فور انتهاء الكاميرا من التصوير وتنغمس ومرافقها في « جيرك » سريع مجنون . .

المكتبـات ايضـا

في مكتبات فويلز الشهيرة وغيرها ، تجد اليوم رفا خاصا بالكتب التي كانت رائجة في العشرينات واسمه رف النوستالجيا (اي رف الحنين للماضي) . . .

« الحنين الى الماضي » ليس اكثر من شكل من اشكال مواجهة لندن للافلاس الروحي . . . انه محاولة للهجرة الى قارة الماضي الغنية بالقيم والتربة الصلبة . . ولكن الهجرة الى الماضي قد تريح قليلا لكنها في المدى البعيد لا تجدي . . انها تعطيك الشعور نفسه الذي يحسه العاشق وهو ينشد اغنية طالما سمعها مع حبيبته . . . يستعيد بها لدقائق مناخ الحب الذي كان ، لكنه لا يستعيد بها . . الحبيبة ! والفرق شاسع بين الارتداد الطفولي الهارب الى التراث وبين استلهام روح التراث لخلق واقع جديد .

وهو درس ليتنا ـ كعرب ـ نعيه جيداً . . .

Akhawia.net

لندن ٣٠/ ٦/ ١٩٧٥

العنف والإباحية ، في رحلة البحث عن خلاص !

انه المساء اللندني البارد . . .

والسماء تبدو كبركة من الوحل . . .

ونهر « التايمز » يهرول في القاع تحت جسر « واترلو » ، ومياهه محمرة دامية ، كأن مجزرة هائلة تتم كل يوم على ضفتيه . . .

انه المساء اللندني البارد . .

مساء صيفي حزين . . وانا مصفحة داخل ثيابي الشتوية ، انعش اطرافي المتجلدة بذكرى شمس بيروت .

كنت والصديقة اولغا جويدة من القسم العربي في الـ « بي . بي . سي » قد غادرنا مبنى « بوش هاوس » في شارع « ستراند » ـ حيث مقر عملها ـ وسرنا حتى مشهدنا المفضل : النهر من جسر « واترلو » . . .

بعدها عدنا لنتابع المسير نحو ساحة ترافلغار ثم بيكاديللي . . .

زحام ، زحام يتكاثف . دقائق واحسسنا انفسنا في مهرجان اسكتلندي فولكلوري للعنف . .

كان الشبان في تنانيرهم « السكوتش » المربعة الزاهية الالوان ، لباسهم الوطني ، يستعرضون انفسهم في الشوارع في تحد عدواني . . . يحملون في أيديهم زجاجات المشروب الاسكتلندي المعتق ويبدون فخورين بأنهم اخترعوا « حالة السكر » ، وينشدون اغانيهم معربدين ، متحرشين بالمارة قليلا او كثيرا . سألت فتاة بينهم : لماذا انتم في الشوارع هكذا ؟ قالت : لدينا مباراة كرة قدم ضد الفريق الانكليزي . اسكوتلندا هي الرابحة غالبا ضد انكلترا على الكأس . . .

سألتها : هل ربحتم حتى تحتفلوا هكذا ؟ قالت : لم تقع المباراة بعد . غدا موعدها ! . .

Akhawia.net

وقالت اولغا مفسرة : عدم وجود وعي سياسي وممارسات سياسية يجعل الشبيبة تفرغ شحناتها العدوانية في مجال « الكورة » كرة القدم ـ كما يحدث في اكثر بلدان العالم « المكبوتة » سياسيا . . . انه مجرد تصريف لطاقات الشبان الذين يعانون من الوحدة والخواء الداخلي والافتقار الى هدف قومي وانساني محدد . . . ظاهرة الغرق في هستيريا كرة القدم شبيهة بظاهرة الغرق في الجنس التجاري او الغرق في افلام العنف وغيرها . . . كلها مجرد تصريف لطاقات لا تجد لنفسها نبعا حقيقيا تؤمن به وتركض نحوه . . . انه الضياع . . .

تابعنا المسير نحو بيكاديللي . . . كان الزحام المتوتر يزداد كثافة . والعنف الذي حمله ٣٠ الف اسكتلندي وصلوا الى لندن لحضور المباراة يواجهه عنف انكليزي مضاد . . . ولم يكن المناخ وديا ، بل كان كله تحديا وبذاءة . . . فعلى احد الارصفة جلس اسكتلندي يحتسي دواءه غير الشافي (الويسكي) وبالقرب منه وقف انكليزي في وسط الناس « يقضي حاجته » . . . وحول التمثال الذي يتوسط ساحة البيكاديللي وبركتها ذات الدرجات ، اقيم حاجز مرتفع . . ترى هل اقيم لمنع الناس من النزول الى البركة عراة كما يحدث في ليالي الهستيريا الجماعية الاخرى كليلة رأس السنة ؟ وبحثت في الزحام عن مشاهد ساحة البيكاديللي المألوفة ، عن شاب وفتاة يتعانقان في وله محموم ساعات تحت المطر كما كنا نرى من زمان ، فلم ار اي عاشقين . لا احد يقبل الآخر او يضمه . لا بريق حب في العيون . الشيء الاخر الجديد في البيكاديللي كان منظر متسول . انها المرة الاولى التي ارى فيها في لندن متسولاً يستعطي الناس بثيابه الرثة . . .

وحتى شارع اكسفورد كان مزدحما بمشاهد العنف « الكروي » الاسكتلندي الذي كان يزداد زخما كلما تقدم الليل . . . مشهد الحب والرقة الوحيد الذي رأيته تلك الامسية الباردة كان داخل واجهة مضاءة لاحدى محلات الالبسة الكبيرة . . . كان هنالك تمثالان لامرأة ورجل يعرضان الثياب ، وقد وقف التمثالان متواجهين تماما ، وفي قدمي كل منهما خطوة نحو الاخر لم يقم بها بعد . . . كل منهما ينظر الى الاخر بعينيه الزجاجيتين الشاسعتين ، وفي ظلال المساء خيل الي ان نظرة انسانية عميقة الحزن تطل من عيني كل منهما . . فقد تحجرا وهما قريبان هكذا على مرمى خطوة ، وبعيدان على مرمى عمر . . . تحجرا قبل لحظة اللقاء المكتملة ، وها هما يقفان هكذا ، محكومين بالبعد الى الأبد وبالقرب الى الابد . . . سيظل حبهما جديدا ، لا يستهلكه لقاء ، ولا يشتته فراق . . . توقفت امامهما طويلا مشدوهة . . . ظنني بعض المارة أتأمل ثيابا رائعة ما فتوقفوا ،

Akhawia.net

وشاهدهم مارة اخرون فتوقفوا ايضا ، وكالقطيع جاء اخرون ايضا ، وصار على الواجهة حولي زحام ، وكلهم يفتش عن السر ! وشعرت بغربة لا حدود لها ، وقلت للعاشقين الحزينين في الواجهة : مساء الخير ايها العاشقان الوحيدان في مدينة الجنون . . . قلبي معكما !

مجزرة كرة القدم

وحتى في غرفتي ، كان جنون الشوارع وزعيقها يتسلقان الطبقات العشر تحتي ثم يقرعان نافذتي بشراسة السكارى . واحسست بأنني اختنق تحت ثقل الليل واكداس من الشعر الطويل القذر للشبان الراكضين في الشوارع ثملين نزقين حائرين صارخين . . . وادرت زر التلفزيون فأطل علي هارولد ويلسون (ام تراه كان ادوارد هيث ؟ لم اعد اذكر) المهم اطل علي سياسي بريطاني نطيف الملابس وحليق الشعر ، تلتمع ربطة عنقه تحت اضواء الاستديو ، ويتحرك « بايبه » الانيق بين شفتيه في استرخاء الواثق من اهميته وسطوته وحسن مظهره . . . اي تناقض بين جيله وذلك الجيل الممزق الراكض في الشوارع متعثرا بشعره الطويل الوسخ . . .

وفي اليوم التالي خسرت اسكتلندا المباراة وربحت انكلترا بخمس اصابات ضد اصابة واحدة .

وخرجت صحيفة « الاوبزرفر » وفي صفحتها الاولى صورة وجه من وجوه العنف البشع لتعيد الى الاذهان مأساة قاسية . . .

فقبل عامين ، حين التقى الفريقان اياهما وانتصرت يومها اسكتلندا ، عاد الاسكتلنديون من الملعب ثملين بالنصر ، وفي احدى محطات المترو بين ويمبلدون (حيث الملعب) ولندن قاموا بدفع عامل المحطة ـ من دون مبرر ـ تحت العجلات . . . وقد اختارت « الاوبزرفر » هذا الوقت بالذات لاجراء حوار صحافي مع العامل المدهوس العاطل عن العمل من يومها بسبب تخريب دائم لجهازه العصبي لم يشف منه بعد ان شفي من جروحه . . .

وهكذا فقد اضرب هذا العام جميع عمال المترو على خط ويمبلدون ـ لندن احتجاجا على ما الحقه الاسكتلنديون برفيقهم من اضرار . . . وهكذا كان على ٣٠ الف اسكتلندي ان يزحفوا مشيا الى الملعب الذي يبعد ثمانية اميال عن لندن . . . وان يعودوا منه ـ بعد الهزيمة ـ مشيا . . . ومع ذلك عادوا من المسيرة وشحناتهم العدوانية في ذروتها وقد الهبتها الهزيمة . . وهنا تدخلت السماء لمساعدة رجال الشرطة ، (او لمساعدتي على النوم) فقد انهمر المطر ليلا ، حارما الناس متعة الهياج في الشوارع والعربدة وتحطيم المقاعد

Akhawia.net

العامة . . . ومرت موجة العنف من دون خسائر تذكر غير تنانير الاسكتلنديين الذين خلعوها علامة على العار والهزيمة ووعيدا بالانتقام . . . وحوالى مئة منهم اعتقلهم البوليس بتهمة الشغب والعربدة . . .

واذا كانت فرصة الهستيريا الجماعية التي وفرتها المباراة قد انقضت ، فان اهالي لندن لا يعدمون عشرات من « المصارف » الاخرى لطاقاتهم الحائرة ذات الزخم الضال الهدف . . . ولعل في موجة افلام الكوارث الكبرى وافلام العنف والجنس نوعا من انواع التصريف الاساسية التي تبدو في مظهرها منافية لموجة الحنين الى الماضي ، لكنها في جوهرها تنفس عن ثورة ضالة واحدة .

وفي دراسة جيدة لشفيق مقار نجده يذكر لنا احصائية تعبر عن واقع خطير اذ يقول : « في احصائية نشرت مؤخرا ، بمناسبة استقالة الامين العام للمجلس البريطاني للرقابة على الأفلام ، تبين ان الرقابة اجازت للعرض خلال سنة ١٩٧٣ (لم تكتمل بعد احصائيات عام ١٩٧٤ المنقضي) ، ٤٧٧ فيلما ، بلغ عدد ما اجيز منها بشهادة اكس (×) ـ التي تعطى لافلام الجنس والرعب والعنف غير المسموح بمشاهدتها (نظريا) لمن لم يتجاوزوا سن الثامنة عشر ـ ٢٤٩ فيلما ، مقابل ٢٢٨ من كافة الانواع الاخرى . وهو عدد ملفت للنظر فعلا . ولا نعتقد ان النسبة اختلفت عن ذلك كثيرا خلال عام ١٩٧٤ ، ان لم تكن زادت ، لصالح افلام الجنس والعنف » ما علاقتنا بذلك كله ؟ العلاقة للأسف وثيقة . هذه الأفلام الرهيبة سوف تصب في شاشاتنا وسنراها في الموسم السينمائي العربي لعام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ وستساهم في تخديرنا عن غضبنا العربي وما من سينما عربية بديلة نستعيض بها عنها .

وهكذا فانك تجد نفسك في لندن في بحر من الافلام التافهة ، ذات التقنية المهنية الجيدة ، التي تقدم لك جميع اطباق مائدة الرعب الدامية ذات البهارات الجنسية الحريفة . قلت لنفسي : سأهرب الى المسرح . ولم اكن ادري انني كالمستجير من النار بالرمضاء ، وان موجة التخدير بالرعب والجنس انتقلت لتفسد اجمل ما في لندن : مسرحها . . .

ذهبت الى مسرح كينغز رود في منطقة شلسي لحضور « استعراض الرعب الراقص » وهي « ميوزيكهول » من المسرح الغنائي وفائزة بجائزة « الايفننغ ستاندرد » للدراما وبلقب « افضل مسرحية غنائية للعام » فماذا وجدت ؟! .

وجدتني امام مسرحية تافهة مليئة بكليشهات الجنس الجماعي على الطريقة الاميركية . وعدت اقرأ الكراس .

Akhawia.net

حين تقرأ اسماء الممثلين ، والادوار التي سبق ان مثلوها ، تشعر بما يشبه الصدمة .

اولئك الشبان الذين بذلوا كل ما في وسعهم للابتذال طيلة السهرة طالما مثلوا ادوارا هامة في مسرحيات لشكسبير - بينهم من مثل دور ماكدوف في فيلم « ماكبث » اخراج رومان بولنسكي . وبعضهم شارك لورانس اوليفيه في مسرحية « قيصر وكليوباترة » لشكسبير . ولكل منهم ماض عريق في عالم التمثيل الجاد . فماذا حدث ؟ ولم هذا النزوح من مسرح شكسبير الى تقديم مسرح « ستربتيز » رجالي جماعي ؟ . . هل هو الربح السريع ، واقبال اهل لندن على وجبة الجنس والرعب الرخيصة ؟ . . ام انهم يؤمنون حقا بأهمية ما يفعلون ؟ .

من المعروف ان الثورة على الاخلاق البورجوازية تتضمن تذكير الانسان باعضاء جسده المنسية والتأكيد ان الخطأ ليس فيها بل في اسلوب استعمالها ، وان العيب لا يتمركز في عضو معين بل في سلوك معين ، وان العيب الكبير هو الكذب والرياء الاجتماعي والتنكر للطبيعة . وكما ان الاكل ليس عيبا ويمارسه الناس جماعيا في المطاعم ، وله آداب يتبعونها ، فالجنس في نظرهم حاجة طبيعية كالاكل ، وممارسته العلنية يجب التعود عليها (لا تتطرق المسرحية الى آداب الجنس اسوة بآداب الاكل مثلا) !

ففي العشرينات نشأ تيار مسرحي غرضه مواجهة الناس بحاجاتهم الطبيعية وتقديمها على المسرح دونما حرج ، كالتجشؤ (المرفوض اجتماعيا) وقضاء بقية الحاجات الطبيعية . . .

واليوم يحاول المسرح متابعة ذلك عن طريق صدم الجمهور بجسده المنسي .

ايا كانت رسالة المسرحية ، وآراء النقاد الذين قرروا اختيارها افضل مسرحية غنائية ، فقد خرجت شخصيا منها وانا في حالة اعجاب بـ « العفة » ولكن مخرج المسرحية اعد العدة للمتفرجين امثالي ، ومن لا يدوخ بالجنس والرعب يدوخ بالكحول ، وينصحونه بتجريب مشروب « الرعب الراقص » في البار الملحق بالمسرح ! كما يوزعون عليك قبل مغادرة القاعة منشورات ، وتدهش حين تجد فيها تعليمات لكيفية ممارسة رقصة « روك الرعب » . . وتسارع الى مغادرة المسرح قبل ان يمطروك باقتراحات « مرعبة راقصة » اخرى . . . ولكنهم يفعلون ، ففي الكراس الاعلامي عن المسرحية اعلانات عن ثلاث مسرحيات رعب وجنس اخرى بينها « اوه كلكوتا » الشهيرة .

وتعليقا على موجة الابتذال الرجالي الذي يكتسح اوروبا ، ذكرت مجلة « باري ماتش » في عددها الاخير ان انيتا لوس ، مؤلفة كتاب « الرجال يفضلون الشقراوات »

Akhawia.net

اعلنت انها لو الفت كتابها اليوم لأسمته « الرجال يفضلون الرجال » !

ولكن من الظلم لمسرح لندن الادعاء بأنك لن تجد فيه الا جنسا وعنفا ، فمسرح شكسبير ما زالت له مكانته ، وكل نشاطات المسارح الجدية الاخرى . . .

وكذلك من الظلم الادعاء بأن لندن لم تعد تقدم غير الرعب المبتذل . فقد عدت الى فندقي لاجد هتشكوك ، امير الرعب الراقي ، في انتظاري . . . هتشكوك سيد الرعب البناء لا الرعب « التفريغي » . . .

السعادة هي الوضوح

هتشكوك يملأ شاشة التلفزيون الملون . وجه متصلب الملامح كوجه جثة ، ولكن ما ان يتحدث حتى تنبسط لعينيك عوالم من العمق والوعي والحب ، فتحبه فورا ، وتراه بشكل جديد . . .

لقاء رائع وعميق مع سيد الرعب غير المبتذل . لقد عرض التلفزيون مشاهد العنف في أفلامه ، وكان هتشكوك يعلق على بعضها شارحا ومفسرا ، وذلك في برنامج نتمنى ان نرى في تلفزيوننا ما يماثله عمقا وجدية في النظر الى امور الفكر . فتلفزيوننا يستضيف أهل الفكر كنوع من (الكوكتيل) ويحشر عادة حوالي خمسة مبدعين في نصف ساعة واحدة وتطرح عليهم كل الاسئلة الممكنة واذا فتح احدهم فمه ليجيب تسكته المذيعة بالسؤال التالي وتمنعه من الاجابة بحجة ضيق الوقت حتى صار كل فنان يحترم نفسه في لبنان يمتنع امتناعاً تاماً عن الظهور على شاشة التلفزيون .

لقد منح افلاطون المفكرين في جمهوريته أعلى مرتبة لكن تلفزيوننا ما يزال مصراً على وضعهم في المرتبة الدنيا، وهو مصرٌ على استعراضهم ضمن إطار تهريجي وممنوع منحهم فسحة احترام ووقت يقولون فيها ما ينفع الناس ويمكث في الارض بدلا من الهراء (الماكث) في التلفزيون عندنا . نعود الى هتشكوك عندهم !

نشاهد معه جزءا من فيلم « الطيور » حيث تهاجم اسراب الطيور قرية فتأكل اهلها وتحولهم الى هياكل عظمية . . .

يقول هتشكوك معلقا على ذلك : لقد الفنا الطيور حتى نسيناها ، ونسينا انها كائنات حية وبالتالي عرضة للمفاجآت في سلوكها نحونا . هنالك ١٠٠ مليون مليون طائر يقاسموننا وجه الارض ، وسلوكنا منذ اقدم العصور عدواني نحو الطيور . اننا نقتلها . نسجنها . نستخدمها (الحمام الزاجل) ونعذبها . لماذا يدهشنا احتمال ان تنقلب علينا

Akhawia.net

وتقرر معاملتنا بالمثل ؟ . . ويلح هتشكوك على موضوع مهم وخطير : يجب على الانسان ان يكف عن العبث بالطبيعة ومخلوقاتها . يجب عليه ان يتعامل مع الطبيعة بانسانية ووعي وان لا يسخر ذكاءه لايذاء عناصرها والا انقلبت عليه وآذته . لقد عبث الانسان مثلا بمعدن اليورانيوم ، وكانت النتيجة قنبلة هيدروجينية تتهدد العصر بالدمار . ان على الانسان الذكي الا يصل به ذكاؤه الى حد الغرور واعتبار الطبيعة كلها مسخرة لخدمته كيفما شاء . . .

وبعد حوار شيق بين مقدم البرنامج وهتشكوك حول فيلم « الطيور » ، عرض علينا التلفزيون مشاهد ارتكاب الجرائم في عدد من افلامه ومنها اخر افلامه الذي شاهدته بيروت مؤخرا وفيه يتم القتل بينما القاتل يبتسم ببرود سببه الجنون او انفصام الشخصية او العنف الى درجة عدم الوعي بمعنى القتل . . . ويقول هتشكوك معلقا : عالمنا اليوم مليء بالعنف والوحشية والقتل بكافة الوسائل والاساليب ، وابشع ما نواجهه اليوم هو تطور العالم نحو العنف بينما هو يبتسم . والقسوة المبتسمة ابشع من العنف البريء واشد خطورة لانها تنم عن تفسخ النوازع الانسانية لدى انسان العصر .

وتعليقا على فيلم « بسايكو » ، بعد عرض مشاهد الغموض والجريمة فيه ، وبحث بطلته جانيت لي اليائس عن السعادة في عالم من الاشباح ، قال هتشكوك شارحا : السعادة هي الوضوح ، والسلام هو القدرة على الرؤية دونما ظلال ودونما اشباح نعجز عن الحوار المباشر معها . . .

المهم ، استمتعت بمشاهدة برنامج ذكي وعميق ، وحين انتهى البرنامج قرب منتصف الليل حاولت ان انام ، ولكن صور العنف التي شاهدتها عادت تتفجر داخل رأسي . واقفلت الباب والنوافذ . وعبثا انتظرت ان يجيء النوم لنجدتي - الى جانب فراشي (كما في اكثر الفنادق الاوروبية) جهاز يدعى « صبي المسَاج » من المفترض انه يساعد على النوم ، وكل ما عليك ان تفعله هو ان تلقمه نقوداً، فيرقص السرير تحتك في حركات رتيبة كالمساج تسارع في قدوم النوم اليك . . .

والقمتُ الالة قطعة نقود . وبدأ السرير يرقص تحتي ، لكن الجرائم الكثيرة التي شاهدتها قذفت بافكاري الى مدار بعيد جدا ذكرني بفيلم « طارد الشياطين » اي « اكزورسيست » . وفيه يحرم الشيطان بطلته من النوم بأن يهز لها سريرها بعنف واستمرار . . . وفتحت النافذة على مصراعيها .

Akhawia.net

ومن الشارع الحزين ،
تدفق الليل اللندني البارد . . .
وبدت السماء سقفا فولاذيا دق باحكام بيني وبين الافق المفتوح . . . وتذكرتُ سماء بيروت المزروعة نجوما . . . وحبا وهدراً ولم أنم .

Akhawia.net

لندن ٧/ ٧/ ١٩٧٥

صرخة احتجاج على المجتمعات الاستهلاكية !

« بماذا تحس
وانت بلا مأوى
كحجر متدحرج ، وحيد
دونما هدف . . .
ولا احد يعرفك . . .
بماذا تحس ؟ »

وتحس بثقل فولاذي على صدرك ، بينما تبدأ نهارك بهذه الاغنية الكئيبة ينشدها بوب ديلان ، والصباخ اللندني الرمادي هاجم عليك بنواح مئات من طيور الحمام ، وهدير محركات السيارات في غابات الشوارع . . . وتسارع لاسكات المذياع ، لكنك تجد نفسك تردد كلمات اغنية بوب ديلان كما لو كانت اغنية قلبك . . . وعبثا تتخلص من مرارة الكلمات في فمك « بماذا تحس . . وانت بلا مأوى كحجر متدحرج . . وحيدا ودونما هدف . . ولا احد يعرفك . . بماذا تحس » . وتحس بأنك نملة وحيدة في مملكة الحزن ، وان اسكات المذياع لا يجدي ما دمت عاجزا عن اسكات صوتك الداخلي ، فتعود الى راديو « بي - بي . سي . واحد » وتضغط زره . تحمد الزمن لان اغنية بوب ديلان انتهت ! المذيع يتحدث بدلع . يعلن عن انتخاب « المذيع ذي الجاذبية الجنسية » اي « المذيع السكسي » فتضحك من هذا العالم المجنون المجنون . . . الحزين حتى الجنون . . . المضحك حتى الجنون ! . . كما عندهم ؛ كما عندنا . الوطن في خطر وهم يتلهون بالعبث وينتخبون المذيع الاكثر جاذبية جنسية . تذكرت انتخاب ملك جمال الشوارب في لبنان منذ اسابيع فازددت غما . . ونظرة سريعة الى برنامج افلام الاسبوع في لندن كفيلة بأن تزيدك غما على غم . . . تلحظ ازدياد عدد « افلام الكوارث الكبرى » ، اي الافلام التي تصور كارثة عامة كالزلزال او الحريق . . . واذا كنت قد شاهدت بعضها فتتلاحق الصور داخل رأسك من جديد . . .

في فيلم « الزلزال » مثلا ، الذي يعرض في سينما « امباير » في «لسستر سكوير» ،

Akhawia.net

لم يكتف المخرج بمصائب الممثلين مع الزلزال بل اقحم جمهوره عن طريق حيل سينمائية « سكوبية » و « سينيرامية » استطاع عن طريقها وعن طريق الصوت المجسم ايهام كل متفرج بأن الزلزال وقع حقا . والنتيجة انك تتمسك بمقعدك وتستمتع بمذاق الخوف الآمن ،لانك تعرف ان شيئا لن يحدث لك وان ابطال الفيلم فقط هم الذين سيقتلون لا انت ! . .

(ولكنك تنسى ان هذا الزلزال الوهمي الذي لم يؤذك ليس كفارة عن الزلازل في صلب ارضك العربية وتركيبتها السياسية والطبقية والطائفية ، وانه لا مهرب لك ولبيتك من الزلزال الذي يتهددك) . . .

ويبدو ان الكثيرين يحبون هذا الشعور ، فالاقبال على هذا الفيلم كبير ، كما الاقبال على بقية افلام الكوارث كفيلم « الجحيم في البرج العالي » الذي يصور حريقا ينشب في طبقة علوية في ناطحة سحاب حيث تحاصر ألسنة النار وسحب الدخان عددا كبيرا من الناس . ويجد المخرج في الحريق مناسبة لرسم شخصيات الفيلم وتعريتها اثناء الازمة ـ كما هي العادة في هذا النوع من الافلام ـ فالازمات تعري النفوس (كالنقود والنساء !) .

ومن لا يكتفي بالزلزال والحريق ففي وسعه الذهاب الى فيلم « اختطاف الطائرة » حيث ينضم الى ركاب الطائرة المنكوبة بمصرع ربانها والتي تستلم قيادها مضيفة لا تعرف عن القيادة اكثر مما اعرف انا عن علم الرياضيات ! لكن ذلك لن يعفيك من اهوال (المطبات) التي ستتعرض لها طائرة الوطن اذا دامت الحال على ما هي عليه . . .

اما اذا كنت تفضل مشاهد الموت غرقا فتستطيع الذهاب الى سينما « لاكسي » في حي « شيبردس بوش » حيث تشهد غرق الباخرة « بوسايدون » في فيلم « مغامرة بوسايدون » ، وتستمتع بمشهد رعب الناس بينما الباخرة تنقلب بهم رأسا على عقب ، ومياه البحر تطاردهم بينما هم يركضون كالجرذان المذعورة في كفاح يائس للوصول الى قاع السفينة ، الذي بقي وحده عائما بعد انقلابها .

واذا كانت الكوارث الطبيعية لا تشفي غليلك ، ففي وسعك الذهاب الى سينما الكوارث « الميتافيزيكية » حيث تتولى امر القتل كائنات من ما وراء الطبيعة ، كمصاصي الدماء (والفامبايرز) فهنا يتم الموت بغرس الانياب الحادة في العنق ! وهنالك دور سينما متخصصة في عرض افلام الرعب ، مثل « سين ٤ » في « واردور ستريت » وهي تعرض منذ العام الماضي فيلم « طارد الشياطين » ، ومثل « وارنر وست اند ١ » التي تعرض حاليا

Akhawia.net

« انه حي » وغيرها من دور السينما . . .

فالسينما التي تهدف الى تحقيق اثارة رخيصة عابرة هي السائدة حاليا . . . انها العلاج الموقت والمخدر المفضل للضائعين ، الساقطين في روتينهم الميكانيكي ، واعماقهم تنطوي على جوع الى اليقين ، الى هدف ، الى قضية يمنحونها نفوسهم وتمنح حياتهم مدلولا ومعنى .

والرعب ليس باب الاثارة الوحيد ، فسينما الاثارة التي تستهدف « تفريغ » شحنات عطاء مكبوتة تعتمد افلام الجنس ايضا لهذا الغرض . وتصفعك اعلانات هذا النوع من الافلام ، وتطاردك اين ذهبت واسماؤها كافية للتعريف بها . اقرأ معي هذه الافلام : « العشاق النهمون ـ الحب الساخن ـ يحبون الجنس ـ اعترافات عذراء مراهقة ـ كيف تغوي عذراء ـ هل تستطيع الاستمرار لاسبوع ـ القطط البرية السويدية ـ الجنس من دون حب ـ الباحثون عن اللذة » . . . الى اخره . .

ووسط هذا الركام الهائل من السينما الاستهلاكية عليك ان تشق طريقك بحثا عن برعم عطاء يستحق المشاهدة . . .

وتجده في فيلم « تومي » للمخرج البريطاني الموهوب كين راسل . وتجد في الفيلم نفسه عرضا وتفسيرا واحتجاجا على اجتياح التخدير للمجتمع البريطاني ، بما فيه تخدير السينما والمسرح والمخدرات نفسها .

كما انك قد تجد نفسك في حالة قرف من كل شيء ، وفي حاجة الى الهرب تماما من هذا العالم الوسخ المقلق المرتجف بعصبية ، ولا يبقى امامك سوى افلام « الكارتونز » (افلام والت ديزني المرسومة باتقان) حيث تمضي لترمي بجسدك على المقعد وترحل في رفقة الارنب اللطيف والفأر الذكي والقط الملعون . . . وتضحك كما كنت تضحك قبل ان يوسخوا لك عالمك .

وتشهد لندن مؤخرا اقبالا كبيرا على افلام « الكارتونز » ووالت ديزني وعالمه المسحور ، وهي ردة فعل طبيعية وجزء من الحنين الى الماضي والهرب بالتالي الى ذكريات الطفولة وسنواتها المضيئة بالامل والثقة ، ومجلة « اين تذهب » ، التي تصدر في لندن وعت هذه الردة وخصت غلافها (العدد ٢٢ ـ ٢٨ ايار) بكائنات والت ديزني من قطط وارانب وفئران وبط ، داعية الناس الى قضاء اجازة معهم بعيدا عن كل شيء . ولكن الهرب (سواء الى الماضي او الطفولة او عوالم الصفاء المزيفة او الاثارة المفتعلة) يظل هربا ، والافضل في نظري مواجهة الواقع مهما كانت مخالبه ، والتحديق في الحقيقة مهما

Akhawia.net

كانت شمسها كاوية . وفيلم « تومي » للمخرج كين راسل من الافلام القليلة في لندن التي تتصف بذلك . اجلس الى جانبي في سينما «ليسستر سكوير تياتر» ولنشهده معا .

تومي هو بريطانيا ؟

تومي في الفيلم رمز لبريطانيا المعاصرة فيوم مولده هو يوم عيد وطني ترتفع فيه الاعلام البريطانية ويقف الناس جميعا تحت نافذة والدته وهي تعاني المخاض قبل ان تلده . وحين يأتي الى العالم تطل الممرضة من النافذة لتبشر الناس بمولده . انه رمز لمولد بريطانيا العصر ، بريطانيا الحديثة .

ومقتل والده الطيار في الحرب رمز لموت الروح الانكليزية المقاتلة والجادة ، والتي اختفت مع انتهاء الحرب العالمية الاخيرة . اما العم الذي تتزوجه الام فهو رمز للعقلية الاميركية الاستهلاكية القائمة على جمع المال واللامبالاة التامة بكل القيم والمفاهيم . وهو غريب عن عالم الام والصبي ولكنه يطوع الاسرة ويجرها في درب المجتمعات الاستهلاكية .

فلقاء الام به يتم في احد النوادي حيث تقام مباراة لاجمل ساقين (رمز لمجتمع السلع حيث كل شيء استعراضي وله ثمن ، حتى جسد المرأة) . ويسخر كين راسل من هذه المباريات ومن حال بريطانيا المعاصرة ، فيجعل الساقين الفائزتين ساقين مكسوتين بالشعر لرجل اندس بين المتباريات !

وحين تقرر الام الزواج من ارني (اوليفر ريد) . يسألها تومي ، الذي ما انفك معجبا بصورة ابيه ، شهيد الحرب : « هل حارب العم ارني كأبي ؟ »

لكن العم ارني هو احد صانعي المجتمع الاستهلاكي ، وهو اختصاصي في الحانات لجمع الثروات .

وهكذا كان لا بد من قتل شهيد الحرب مرة ثانية (الاب ، رمز الماضي) . فروح المجتمعات الاستهلاكية مضطرة الى تدمير « الانسان المقاتل » وتطويعه ، وبالتالي تحويله الى جزء مسالم من ماكينتها الجهنمية ، وبمصرع الاب (الوطن المقاتل) يصير تومي شخصا ميتا ـ حيا وتبدأ الازمة الحقيقية . ومنذ كفت بريطانيا عن ان يكون لها هدف ومثل عليا ، ومنذ كفت شبيبتها عن الايمان بشيء بدأ الخلل يجد طريقه ، وكانت حلول العم ارني لمداواته تزيد الامور سوءا .

فلا الجنس ، ولا التخدير ، ولا العنف استطاع ان يسد في نفوس شبيبة بريطانيا جوعهم الى اليقين والهدف والعطاء .

Akhawia.net

وحين استطاع عذاب الام (اي اقرارها بخطأ تحالفها مع ارني) ان يشفي تومي موقتا ، فان تومي كان مشغولا بفرحه باستقبال حواسه واكتشاف جسده الى حد انه لم يلحظ ان العم ارني استغل ذلك ايضا بالذات لتحقيق مزيد من المكاسب المادية ! (وحيوية تومي في هذا الجزء من الفيلم تذكرنا بفورة شبيبة لندن في الستينات وببدايات حركة « الهيبيين » قبل ان تتشوه وتصير اداة تجارية وسلعة جديدة) .

وهكذا يتم تحويل تومي ، من دون ان يدري ، الى سلعة . وشبيبة بريطانيا التائهون والمتعلقون بأي سلعة حتى يملوها فيكسروها (في سلوك طفولي كسلوك الطفل) يتعلقون بتومي الجديد المبشر بحرية الجسد والروح ونقائهما بالحب (نجده يخلع حلي الماس عن امه ويجرها معه للاغتسال في البحر) . ويدفعهم « زهقهم » الى تدمير مملكته واوثانه والى قتل امه وعمه معا .

والان ، ما حال تومي ؟

انه يهيم في دنيا من الخراب ، مخلفا خلفه اهوال السنين الماضية ومقابرها (كمقبرة « الفليبرز » والغسالات والبرادات ، رمز المجتمع الاستهلاكي البشع) ، والنيران تحاصره وهو يصرخ « اسمعوني . . . تحسسوا جراحي . . . المسوني . . . داوووني . . . انقذوني » . ولكن من ينقذ تومي (الوطن) وكيف ؟ ! .

ينتهي فيلم كين راسل هنا ، فليست وظيفة الفنان اصدار كراس حزبي عن وسائل الانقاذ . مهمته هي في كشف المأساة وعرضها بأسلوب يوحي بوسائل حلها ، وقد نجح المخرج في ذلك . ففيلمه صرخة احتجاج على روح المجتمعات الاستهلاكية التي افسدت شبيبة بريطانيا . صرخة قرف في وجه التخدير بالجنس والعنف والدين الذي أسيء فهمه والعصر الذي أسيئت صياغته وصرخة تنبيه الى مخاطر قطع الجذور وهجر الماضي ودفن الروح المقاتلة الصارمة . وما احوجنا نحن ايضا في بلادنا الى صرخة كهذه . . .

في الفيلم ايضا صرخة ضد الابتذال

ولعل كين راسل اراد التأكيد مرتين على رفضه الابتذال ففيلمه هذا مسموح للجميع وليس من نوع « × » الممنوع على من هم دون الثامنة عشرة ، وليس فيه اي من مشاهد العنف والعري التي شاهدناها في افلامه السابقة كفيلم « نساء عاشقات » عن قصة د . هـ . لورانس ، و « سيرة حياة تشايكوفسكي » والشياطين وغيرها . .

والفيلم ممتع حتى للصغار الذين قد لا يعون تماما ابعاده الفكرية فهو فيلم غنائي راقص (روك اند رول) ويضم اجمل ما استطاعت هذه الموسيقى التوصل اليه وهو مبنى

Akhawia.net

على « البوم تومي » الناجح جدا والذي ظهر عام ١٩٦٩ وباع ٨ ملايين نسخة ـ كتبه بيت تاونشد وحقق به يومئذ ثورة على صعيد الموسيقى كما يحقق به اليوم كين راسل ثورة على صعيد السينما .

ولعل اكثر ما يدور اليوم في لندن والغرب واميركا بالذات يؤكد صدق مخاوف كين راسل وصعوبة انقاذ تومي .

فلندن تلتقط من اميركا فورا كل الموجات الاستهلاكية الاباحية . واخر موجة تم وصولها الى الشواطىء البريطانية هي موجة « الستربتيز » الرجالي !

فـي اميركا اولا

كتبت الصحافية البريطانية كاتي مارشال في مجلة «شي » أي « هي » ـ عدد اخر ايار (مايو) ـ وصفا لما يدور في نوادي التعرية الرجالية ، وختمت مقالها بالقول : « حين انتهى « الستربتيز » الرجالي صفقنا وفرحنا وعاد الرجل وكرر حفلة التعرية ، وقوبل بمزيد من التصفيق المحموم » .

وفي العدد الاخير من مجلة « شتيرن » تحقيق مصور عن احد النوادي الخاصة بالتعرية للرجال ، واسمه « نادي الجوع » ، في ميريلاند في اميركا ، وهو واحد من ١٨ ناديا انشئت كلها في الشهور الاخيرة ونجحت نجاحا كبيرا وكان اقبال النساء عليها غير متوقع .

ممنوع دخول الرجال الى النادي (ما عدا الشبان الذين يتعرون ويقدمون نمرتهم) . واغلب « الزبونات » سكرتيرات وزوجات في الثلاثين من العمر تقريبا . ويلقي فيهن صاحب النادي ، الايطالي الاصل ، خطبة يبدؤها بقوله : « لقد تغير الزمان يا سيداتي . لسنا ضد ازواجكن ، ولكننا نمنعهم من الدخول لانه يجب ان يبقى احد في البيت للعناية بالاطفال » !

وعلى ايقاع الموسيقى ، والاضواء الحمر ، يرقص الرجال تماما كفتيات « الستربتيز » ، وتنهال عليهم « اكراميات » النساء .

ولندن التقطت الموجة ، وفيها اليوم ناد واحد من هذا النوع ، ومن المنتظر ان تتسع الموجة !

والرجال العاملون اغلبهم من الطلاب والجنود وسائقي سيارات الشحن الذين لا تكفي رواتبهم لسد نفقاتهم .

Akhawia.net

الساحـر العـاري

واذا كان بازوليني من اوائل المخرجين الذين ركزوا على جسد الرجل العاري في السينما ، خصوصا في فيلمه « الليالي العربية » ، فان العري الرجالي يجتاح كل المجالات الليلية الاخرى خارج السينما . وحتى في النوادي الليلية ، ذات البرنامج العادي ، فاننا نجد « نمرة » الساحر ـ التي كانت تتم وفق مواصفات تقليدية خاصة ـ قد تبدلت اذ تحرر الساحر تماما من ثيابه المسرحية التقليدية وصار يفضل تقديم نمرته عاريا تماما ، لماذا ؟ يقول حاوي العاب الخفة مالكولم كاديل ، الذي يعمل على مسرح « كازينو باريس » في لندن «يخبىء الساحر عادة الحمام والارانب داخل اكمامه الواسعة ، اما انا فلا مكان في ثيابي اخفي فيه اي شيء لانني بلا ثياب . انني ساحر حقيقي » !

وهكذا تضاف الى سوق الليل في اوروبا سلعة جديدة هي الرجل ، (ربما بمناسبة سنة المرأة العالمية) !

الـردة الدينيـة

ربما كانت هذه الموجة الاباحية هي المحرض الاساسي على ما يشبه الردة الدينية . فهنالك نوع من الرجوع الى الله هربا من هذا الجحيم الارضي ومن الملذات الرخيصة .

وتنتهز بعض « الاديان المزعومة » جوع الشبيبة الى يقين ، فتنتج افلاما تلفزيونية اعلانية عن بضاعتها . وقد عرض التلفزيون « بـي - بي . سي ٢ » فيلما عن دين « كريشنا » ، وفيه نرى اتباع هالي راما يرقصون ويغنون وفقا لطقوسهم الخاصة (الرقص صلاتهم) .

بدأ البرنامج بداية غير مناسبة ـ بنظري ـ بعرضها صورة جامع لندن وفيه المسلمون يقيمون صلاتهم ، ثم الكنيسة والقداس وصورة المسيح ، ثم صورة المعبد الكريشناوي والمعبود راما . فهذا خلط خاطىء ـ من الناحية العلمية على الاقل ـ بين الاديان السماوية القديمة ، ومؤسسة احتكارية اميركية لا تخلو من الروابط مع « المافيا » ومن مصلحتها ترويج المخدرات ، فتستغل جوع الشبيبة الى دين لتستعبدهم بالمخدر ، وباسم الدين تأخذ ربع ما يكسبون من اي عمل يعتاشون منه !

ولكن الردة الدينية تتجلى في مجالات اخرى حلوة ، ومن حصيلتها تطور مهم وجميل في الاغنية البريطانية « بوب ميوزيك » اذ تحولت اغاني الـ « يه يه » الى تمجيد المسيح ، كما ظهر على شاشة « بي . بي . سي ١ » كاهن ياباني يمجد اسم الرب . . .

ومن احلى الاغاني الدينية اغنية بوب ديلان « والد الليل » ، واغنية الكريشناويين

Akhawia.net

« يا الهي المحبوب » .

ومع ذلك تظل تحس ان الردة الدينية هنا اقرب الى الاستعراضية الهستيرية منها الى التأمل الهادىء البعيد عن الاضواء . ولعل الكنيسة احست بخطورة انحراف مسيرة العودة الى الله ، فأكثرت من اعلاناتها عن مواعيد الوعظ والصلاة . ففي مجلة « اين تذهب » ، التي تحوي دليلا واسعا عن حياة لندن السرية وعناوين عاهراتها ، نجد اعلانا نشرته الكنيسة عن عناوين كنائسها ومواعيد الصلوات فيها . والشيء ذاته نجده في كثير من الصحف الواسعة الانتشار ـ في باب الاعلانات المبوبة . كما في « الهيرالد تريبيون » و « التايمز » . وتحاول الكنيسة من جهة اخرى جذب الشبيبة اليها باقامة الحفلات الراقصة تحت رعاية الكاهن ، والقداسات « المودرن » على انغام « الروك » و « الجيرك » . . وهنالك كاهن رضي بتسلق خشبة بهلوانين في سيرك رغبا في عقد قرانهما على ارتفاع مئة متر عن الارض . وقبل الكاهن خوفا من انتصار الزواج المدني !

ورغم جهود الكنيسة وجوع الشبيبة الى اليقين ، فان الشيطان ما زال يبسط جناحيه على هذه الجزيرة من دون منازع . . . وحتى اشعار آخر او انفجار آخر .

Akhawia.net

لندن ١٤/ ٧/ ١٩٧٥

كلنا . . للغربة ! . .

حذار من الذهاب الى لندن وحيدا اذا كنت عاشقا . كل هذا الزحام لا يجدي . كل اولئك الذين يتدفقون أمام عينيك كالشلال ، ينطفئون كالزبد . . مئات المتاحف والمسرحيات والملاهي لا تجدي . . . ليست اكثر من سكين في القلب تزيد في حدة أحزانك . . . فلندن مدينة تمنحك كل شيء الا الانس والرفقة الانسانية . . .

تستطيع ان تشتري في لندن أجمل فتيات العالم ، لكنك لا تستطيع شراء لمسة حنان واحدة . . .

وهكذا ، وبعد انقضاء أيام طويلة في لندن ، ستشعر فجأة بما يشبه الاختناق . . . والساحات الشاسعة ستضيق بك ، والبيوت ستحاصرك بلا مبالاة عدوانية ، وكنوز المتاحف ستتراكم فوق صدرك كالاثاث العتيق ، وعربات المترو ستركض فوق عينيك بزعيقها المعدني الصدىء ، والعمارات الشاهقة ستنهار فوق رأسك بكل ما فيها من اسمنت وحديد ورمل ، وستحس بحاجة الى العلاج بشراء بطاقة عودة الى وطنك ، او باللجوء الى مسكنات صيدلية الطبيعة الخضراء ، وحنان الهدوء النادر . . .

وتمتاز لندن بانتشار صيدليات الطبيعة فيها حيث تستطيع أن تهرب من الزحام في أقل من ربع ساعة ، اينما كنت .

فحديقة الهايد بارك الشاسعة تتوسط اماكن سكنية مزدحمة ومراكز تجارية مثل ماربل آرش واكسفورد ستريت ، ونايتسبريدج ، ونوتيغهل وكينسنغتون وكلها تحيط بالهايد بارك كالخاتم . .

حديقة هايد بارك هي اشهر حدائق لندن ، لكن لندن تتضمن حدائق اخرى لا تقل اتساعا عن الهايد بارك مثل حديقة ريجنت (وفيها حديقة للحيوانات) وحديقة جرين بارك وحدائق هامستيد وريتشموند وغيرها . . .

وهذه الحدائق تشكل الرئة المعافاة التي تتنفس لندن بها ولولاها لزاد عدد زبائن الاطباء النفسانيين . .

وتتذكر هذه الحدائق ، فتهدأ نفسك المعذبة قليلا ، وتسكت الراديو الذي يعلن عن

Akhawia.net

مسابقة أفضل جار معبرا بذلك عن الغربة التي يحياها كل في صدفته وحيدا الى حد محاولة تشجيع فكرة (الجار) ، وتمضي في طريقك الى أحدى الحدائق العامة . . . واذا تصادف ان ذهبت اليها يوم الاحد ، فتسجد على اسوارها مظاهرة فنية ممتعة من نوع يستحق الرصد .

اليوم هو الاحد . وأنا في المترو بطريقي الى منطقة هامستيد . فعلى الرصيف المواجه لحدائقها يقام صباح كل أحد معرض فني في الهواء الطلق ، يأتيه السواح وعشاق الفن من كل مكان . . . وعلى الرصيف ، تتكدس التحف والبضائع في سوق حرة مفتوحة للشمس نادرا وللمطر غالبا ، وللعيون الفضولية . . .

الطقس اليوم جيد في نظر الانكليز ، وبارد جدا بالنسبة الى امرأة مثلي قادمة من بلاد منبع الشمس . . وها هي رعشة برد تسري في جسدي المصفح بأربع كنزات صوفية ، أبدو فيها كمحاربي العصور الوسطى أو حرس البابا ، بينما تمر بي انكليزية في بلوزة عارية الاكتاف وهي تستجدي شمسها البخيلة الباردة ظل لون أسمر . . .

تمر بي مظاهرة حريمية لاتحاد الزوجات تحمل الشعارات بمناسبة سنة المرأة العالمية . . . احدى اللافتات تحوي اخطاء في الاملاء والقواعد !! . . أما الزوجات المتظاهرات ، فيبدو في وجوههن بريق كالذي نراه في وجوه التلامذة الهاربين من المدرسة الى السينما سرا ! . . وفكرت (كما عندهم كما عندنا) . . . ثم نسيت كل شيء عنهن ، حين فوجئت بلوحات ممتازة في معرض الهواء الطلق . . .

اسم الرسام دافيد أونيت . اسم لا يثير فيك شيئا . تماما كاسماء غوغان وفان كوخ قبل ان يموتوا باعوام طويلة وقبل ان يصيروا « غوغان » و « فان كوخ » في نظرنا !!

اسم مغمور ، كما كان جميع العباقرة قبل أن نكتشفهم . ولكن لوحاته رائعة حقا . . . فالفنان يرسم البشر كالطحالب تماما فوق اسفلت المدينة . . . بلا جذور . . كما يرسمهم بصورة طيور مهاجرة . . . ترى هل يشاهد احفادي هذه اللوحات ذات يوم في أحد المتاحف ؟ . . .

بعد لوحاته ، شاهدت فنانة ساخرة تصنع اوعية مبتكرة للنباتات ، لبعضها شكل الجمجمة التي تخرج عروق النباتات الخضر من فتحتي عينيها واذنيها وعبر اسنانها ! . . لقد مات الجسد وتبقت الجمجمة ، ولكن ها هي دورة الحياة تتجدد فيها بصورة مختلفة جديدة هي الحياة النباتية ، فتحتلها وترفع بيارق الحياة الخضر فوقها . . .

بسطة اخرى . فنانة اخرى ، ومجموعة من اشغال السيراميك الجميلة أبرز ما فيها

Akhawia.net

صورة عبلة المستوحاة من الشرق ، ونقوش مستوحاة من التصاميم العربية . . . بسطة أخرى . . عود عربي جميل الهيكل ، نقل صاحبه الاوروبي تصميمه ، ونسي الانتباه الى عدد أوتاره ، فبدا شبيها بالغراب الذي قلد الطاووس . . .

هنالك اشغال جلدية جميلة لزنانير وحقائب يدوية ، كلها تستوحي المناخ الافريقي ، وتبدو دافئة ومغرية تحت شمس لندن الباردة . . التأثيرات الافريقية واضحة ايضا في تماثيل محفورة في الخشب ، وفي مجموعة من الحلى والعقود الفضية المطعمة بناب الفيل (العاج) . . . وكذلك في بعض اللوحات التي تنتمي الى الاتجاهات الفنية كافة . هنالك لوحات كلاسيكية جدا تحاول تقليد الكاميرا العادية ، وهنالك لوحات من المدرسة الانطباعية والسوريالية والحديثة . . هنالك ايضا تطعيم لبعض اللوحات بكابح بسكليته عجوز يحاول الفنان ان (يفرمل) بها الكرة الارضية المتدهورة . . . وهنالك لوحات تحتل فيها الزهور المحنطة مكان الوجوه . . .

هنالك ايضا حلي من احجار الاماتيست الليلكية الشفافة ، المطعمة بالصدف . . وذكرتني بالاثاث الدمشقي التقليدي المزروع بالصدف كقطع النجوم المكسرة . . . أول أثاث فتحت عليه عيوني في دمشق . . . (يا دمشق . .) . . . نجمة اسرائيل تتطفل على كثير من محتويات متحف الهواء الطلق . . . تجدها فوق فضة قرطين . محفورة على اسوارة . على علبة مطعمة بالعاج . تجدها تزين خاتما . قلادة . واسرائيل تبذل جهودا لا بأس بها في هذا المجال حتى على صعيد تمويل الحرفيين الصغار الذين ينتجونها ، فالذي يلفت النظر هو رخصها الشديد بالنسبة للمواد الفضية والذهبية التي صنعت منها نجمة اسرائيل تلك ! . . حتى بعض علب السيراميك الجميلة ، تجدها تحمل شعار اسرائيل في محاولة ذكية لربط الحضارة والابداع الفني برمز اسرائيل ، المجتمع العدواني التوسعي .

وفي آخر رصيف المعروضات وجدت البائع العجوز المتخصص في البوم . انه يبيعك البوم في اشكال سيراميكية متعددة : تماثيل صغيرة . . لوحات . . صحون سجائر . . ثقالات ورق . . وكلها يتضمن البوم في اوضاع مختلفة تتراوح بين الضحك والبكاء . . . اعوام طويلة والبائع العجوز يتخصص في صنعها ويبيعها حتى صار وجهه يشبه وجه بومة اسطورية تقطن شجرة صبار مليئة باشواك الزمن . .

على الرصيف الثاني حديقة هامستيد تناديني . . وفي القاع سيطل جزء من لندن بعيدا وشاسعاً . . طالما عشق الشعراء والفنانون هذه المروج المليئة بالبحيرات . . .

ولكنني اتذكر المعرض الفني الثاني في الهواء الطلق والذي يقام كل اسبوع على

Akhawia.net

جدار حديقة الهايد بارك . . . تعالوا معي اليه . . . للمرة الألف ! . .

نقابة الثوار الخطابيين

متحف آخر شاسع في الهواء الطلق على سور الهايد بارك الممتد من منطقة (بايز ووتر) حتى (بارك لين) . . سرت وسط وجوه من مختلف الجنسيات . . كانت الشمس في ذروة دفئها ، والوجوه مغسولة بالوضوح والضياء . . وعدد كبير من الاطفال يتأمل اللوحات كالكبار . . واحسست أنني في معرض للحياة المعافاة البريئة ، حيث أشياء الحياة الحلوة والمجانية كالشمس والطفولة والصباح الذي لم يتسخ بالليل بعد . . . وما أحبه في هذه المعارض المنتشرة مثل كرم على درب ، ليس قيمتها الفنية ـ وبعضها عادي ـ وانما المناخ الصحي المعافى الذي يحيط بها . . .

واخيرا أصل الى جزء الهايد بارك المخصص للخطباء (سبيكرز كورنر) . . هناك تستطيع أن تحمل سلما وسطلة ، او منصة ، وتقف عليها ، وتخطب لساعات ، وتحت حماية البوليس . . وفي هذا الجزء من الحديقة تجد أشخاصا اذكياء لكنهم في حالة عجز عن التكيف مع المجتمع او تحويل افكارهم الى سلوك او عمل . . انهم يذكرونني بثوار المقاهي في بلادنا ، حيث يثرثر المثقفون طوال النهار عن « ما العمل » وهم عاطلون عن العمل !! . . . هنا نقابة ثوار الكلام في الهايد بارك ! . . . ولكن . . ما هذا ؟ شجار ؟ اجل ! لقد امتدت موجة العنف حتى الى ركن « التنبلة » الجسدية . . ماذا حدث ؟ اسأل عابر سبيل . يقول لي : احدهما كان يحاضر ضد السلبية ومع العنف الثوري . . وآخر لا يؤمن بالعنف وانما بالسلام ، ناقشه ثم ضربه !! (المؤمن بالسلام هو الذي ضرب المحاضر عن مزايا العنف !)

السماء الخضراء

اتوغل في حديقة الهايد بارك . . . مساحات شاسعة من الاعشاب والاشجار . . . السماء سقف من الخضرة . . . وانا امشي احس انني اخطو داخل لوحة فنية مذهلة الجمال . السكينة تمطر فوقي من الاغصان الكثيفة المتشابكة ومن أصوات الطيور المتسكعة على رؤوس التماثيل ، واللون المتوحش لازهار غزيرة . . . ارتمي على العشب عاما من التعب والصق وجهي بالتراب واحس بها تنبض تحتي (ام تراها عروقي) وترحب بي وأهمس لها : اهلاً بأمي الارض . واتذكر اشعار والت ويتمان عن الارض واوراق العشب ، وأردد بعضها فيما يشبه الصلاة الرمزية . . يمر بي بعض راكبي الاحصنة . . تمر

Akhawia.net

بي اسرة نصف سعيدة وكلبها وحده يبدو مدللا وسعيدا . . . تمر بي الغيوم والرياح . . . تمر بي الذكريات ، وانا ازداد التصاقا بصدر أمي الارض . . يمر بي عاشقان يتشاجران . . . واتذكر : منذ اعوام كانت اهايد بارك مزروعة بالاشجار وبالعشاق الذين يتبادلون القبلات على العشب . . . ذهب العشاق ، وها هي شجرة ضخمة من اشجار الهايد بارك مرمية على الارض كجثة كأنها قضت نحبها حزنا حين عرفت ان كل الذين تبادلوا قسم الحب تحت اغصانها قد خانوا بعضهم . . الاطفال يركضون ويتسلقون جسد الشجرة الميتة . (انا اقرأ عليها الفاتحة) . . اتابع المشي . . ها هو عاشق غارق تحت الشعر الاشقر لحبيبته . . . سررت بهما . . انهما اول عاشقين اراهما في لندن هذه الرحلة . . يسمع وقع خطواتي فيخرج رأسه من غابة شعرها الاشقر ويديره مستطلعا . . واراه . . وجه عربي جدا . . . وارد ابتسامته المتواطئة . . كان علي ان احدس ان العاشق الوحيد في الحديقة . . . عربي لا أوروبي ! . .

تمر بي اسر كثيرة جاءت تغتسل في بحر الهدوء مخلفة اسبوعها الملطخ بهباب لندن وضوضائها . . . اقترب من بحيرة « السربنتاين » التي تتوسط الهايد بارك . . . ها هو طفل يلعب بطائرته الورقية . . تحلق الطائرة عاليا عاليا مستسلمة لنزوات الريح . . . تحلم بانك تطير على متنها ، ثم تتذكر انك كنت ذات يوم طائرة ورقية عبثت بها نزوات ريح حارة ، ومزقتها . . . . الطفل يفلت من اصابعه طائرته والريح تقذفها بعيدا الى حيث لا تدري . . تتذكر الاصابع التي افلتتك لريح الضياع بطفولة بريئة الاجرام . . . تتابع سيرك نحو البحيرة . . .

ها هو البط يسبح . الام أولا ثم يلحق بها اولادها في تشكيلات بديعة . . . قوارب الاطفال الصغيرة الموجهة تزاحم البط وتصطدم به (لماذا لا تفكر اية بطة بركوب قارب من عشرات القوارب حولها) ؟ بل انها تبدو متضايقة منها ، تتحاشاها وترمق الاطفال اللاعبين بنظرات غاضبة لكنها تأكل الخبز الذي يرمون به اليها . تأكله وتشتمهم . صبي ضرب بطة . سألته امه : هل تحب ان يضربك أحد ؟ لماذا ضربت البطة ؟ ضحكت من التربية الانكليزية الحريصة على التفاصيل الصغيرة كضرب بطة . . . اللامبالية بحوادث الضرب حين تتم على نطاق شاسع اسمه الاستعمار . . . ماذا تجدي التربية المنزلية الصغيرة حين تكون العوبة في يد السياسة الخاطئة لدولة عدوانية ؟ وكيف يتعلم الطفل ان يكون عادلا مع البطة ظالما مع الانسان ؟ . . . تركض ظلال عشرات الطائرات الورقية الهشة ، انها كالامنيات الاكبر من الامكانيات . . .

Akhawia.net

انها كحلم مشلول بالركض في الغابات . . . وكنت ارتجف بردا حين توقف امامي بائع « الايس كريم » كأنه يسخر مني . . . وخلفه كشك لفرقة موسيقية ستأتي لتعزف ألحان بيتهوفن مجانا . . وحسدت الاطفال الذين سيستمعون اليها بدلا من الاستماع الى اغاني مثل « العتبة قزاز » و « قوم تانلعب باصرة » .

ادخل الى المطعم الزجاجي المطل على بحيرة السربنتاين في الهايد بارك . . . وجوه الناس تبدو شمعية وفي غاية البرود . . . وحده كلب صغير كان يفيض عاطفة ويهز ذيله بحنان انساني . . جلس امامي رجل وامرأة . . الرجل نحيل ورقيق وقد زين أذنيه بقرطين ينسدل فوقهما شعره الاشقر الطويل . . والمرأة خشنة المظهر شعرها القصير خشن كنظراتها وقبضة يدها القوية . . سألته هي ماذا يحب ان يشرب وذهبت تشتري له شرابا بينما نثر هو شعره الاشقر الناعم . خرجت آكل في الهواء الطلق ، فلحقت بي الطيور وبدأت تلتهم غدائي وكالبشر كانت تأكل من يدي ثم تنقرها . . . ثم . . . نمت .

اوغندا تسحر لندن

واذا كانت الحدائق العامة المنتشرة في لندن بكثرة ـ والتي تفتقر اليها اكثر عواصمنا العربية الممعنة في تحويل مدننا الى غابات اسمنت بشعة ـ تحافظ على توازن الانسان النفسي في مواجهة مجاعة القيم ، فان مظاهر اخرى كثيرة معافاة ما تزال مستمرة في المجتمع الانكليزي تساهم مساهمة حقيقية في محاربة الفقر الروحي الزاحف . . وحتى المادي . . .

ولا شك في ان مسارح لندن الجادة وحركتها المسرحية العميقة فكريا والمعافاة هي من أهم مظاهر الصلابة الانسانية في مواجهة زلزال القيم . . .

والى جانب مسرح شكسبير العظيم ، يقام في لندن كل عام مهرجان مسرحي عالمي . . . تشترك فيه فرق كثيرة من بلدان مختلفة كان اخرها الذي اقيم على مسرح (الاولدويتش) ولمعت فيه الفرقة الاوغندية وتليها البولندية فالسويدية التي قدمت مسرحية جوستاف الثالث تأليف ستريندبرج والايطالية التي قدمت « البعث » تأليف سفيفو . . .

وكانت مسرحية الاوغنديين مدهشةالعمق واثارت الاعجاب بطقوس السحر فيها والبسة القبائل (بالاحرى عريها) وطبولها واغانيها الغامضة السحرية واساطيرها الافريقية العظيمة الثراء واسم المسرحية « المحارب الاحمر » الذي ـ وفقا للتقاليد هناك ـ قد بلغ ذروة الشجاعة لان يديه لونهما أحمر فقد تلطختا بدماء الاعداء الذين ذبحهم . وهي

Akhawia.net

تروي حكاية واقعية لزعيم قبيلة افريقي اختار الدفاع عن قريته ضد عدوان قبيلة اخرى ، وكان اختياره هذا يتضمن التضحية بحياة طفليه الصغيرين . . انها قصة الولادة والموت ، الجريمة والحب ، الخوف والغضب والاسى . . . وضربات الطبل الافريقي المعبرة عن الفرح المجنون تارة والحزن الشاحب تارة اخرى . .

الارض المحايدة

هي المسرحية الجديدة للكاتب المسرحي الشهير هارولد بينتر . . وهو ينتمي الى مدرسة (اللامعقول) المسرحية التي يتربع على قمتها صموئيل بيكيت (في نظري) وبعده يأتي الجميع كيونيسكو وجينيه وألبي وهارولد بينتر مؤلف المسرحية التي سنشاهدها الليلة . نحن الآن في مسرح (أولد فيك) . المفروض ان ترتفع الستارة في السابعة والنصف تماما ، لكن ساعة الدقة الانكليزية الشهيرة صارت صدئة ، ولم تعد موضع ثقة . . الستارة لا ترتفع في الوقت المحدد . تتأمل خشبة المسرح الذي ظل طويلا مركزا لنشاط الفرقة القومية ، وشهدت هذه الخشبة في السنوات السابقة مسرحيات شكسبير وبرناردشو ومارلو وسينيكا وستريندبرغ وتشيكوف وغيرهم . . بعد اسابيع تنقل الفرقة القومية نشاطها الى مسرح جديد بني خصيصا لها ، وتبقى الستارة وحيدة تجتر ذكرياتها مع صرير خشب المسرح العتيق الذي كان نابضا وخفاقا وساهم سنوات في اثراء نهر العطاء الانكليزي على صعيد المسرح . .

المسرحية بكاملها يمثلها اربعة رجال . لا امرأة فيها . لا احداث . مجرد حوار حي متدفق شرس يشدك الى المسرح طيلة ساعات . . الممثلون على درجة عظيمة من الخبرة ، والماضي الفني العريق وعلى رأسهم جون جيلجود (مثل على هذه الخشبة بالذات دور هاملت لشكسبير للمرة الاولى عام ١٩٢٩ ومن يومها حتى الان مثله حوالي ٥٠٠ مرة . كما لعب الادوار الرئيسية في بقية مسرحيات شكسبير منها : روميو وجولييت ـ ريتشارد الثاني ـ مارك انتوني ـ ماكبث ـ الملك لير ـ عطيل وغيرها) . .

المسرحية لا تروي حكاية محددة تقليدية ، بل هي ككل مسرح اللامعقول تخلق مناخا معينا . . . انها لا تستخدم الاساليب التقليدية لمخاطبة الجمهور ، بل لها اساليبها الخاصة القائمة على نسف القواعد التقليدية للمسرح .

تطرح هذه المسرحية علاقة الانسان بالكون اللامبالي . . . الكون المحايد حيث « لا شيء يتبدل او ينمو وانما يظل صامتا ولا مباليا » ، حيث نأتي دون ان ندري لماذا . . . ونمضي دون ان ندري لماذا . . حيث الغربة قدرنا ، وفي روحنا « مناطق لم يدخلها انسان

Akhawia.net

ولم يدر بها مخلوق آخر » ونضطر الى الاستمرار رغم وعينا بأنه « لن يحدث شيء الى الابد ، وسيكون شتاء الى الابد ، وليلا الى الابد » ، وحتى حينما يطلع الصباح ، فان حزنا عميقاً ينبثق في روح بطل المسرحية « لقد شاهدت بُكَراً كثيرة كهذه الغدوة ، والنور يحاول عبثا أن يخترق الأبواب والنوافذ الموصدة » ، فكل خروج الى النور الحقيقي عبث ما دامت النوافذ خلقت موصدة والأبواب بلا أقفال تفتح بها والعزلة قدر لا مفر منه . . .

وحتى القوة التي تتدفق في البعض ، انها قوة اليأس النابعة من الغربة « هل تعرف من أين استمد قوتي ؟ لا احد احبني قط !! » . . . فالصداقة خداع والحب العوبة تخديرية نتلهى بها عن مأساتنا الوجودية .

وتخرج من هذه المسرحية ، وانت ممتلىء بغم غامض قلق يزرعه في النفوس مسرح اللامعقول الذي ينطلق من مبدأ : الحياة وهم وعبث ، وحلم بلا معنى . . .

ها هو الليل الرابض في الخارج ينقض عليك . تستسلم لبرائنه كما استسلمت انا وصديقي . . . وسرنا على غير هدى غارقين في بحر الاحزان التي ايقظتها في نفوسنا . . . ويبدو اننا سرنا عكس اتجاه الطريق السليمة الموصلة الى محطة مترو واترلو . . . وبعد دقائق وجدنا نفسينا في شارع تصفر فيه الرياح والاشباح . . وبدأ المطر يهطل في زخات خفيفة تهديدية منذرة بالتحول في أية لحظة الى « دوش » شرس . . . لم يمر اي تاكسي طيلة نصف الساعة التي كنا نتخبط فيها على غير هدى . . ومر بنا باص غامض فركبناه دون ان ندري الى اين . . . وقلنا للكمساري ان ينزلنا في اي مكان نستطيع ان نجد فيه تاكسيا . . وبعد دقائق اعطانا الكمساري اشارة الهبوط . . فهبطنا . . وجدنا انفسنا على جسر فوق التايمز ، وساعة البيغ بن امامنا والنهر وراءنا . والمطر من فوقنا والطريق المقفرة من تحتنا وليس امامنا الا . . . الالتهاب الرئوي . . وكان مشهد النهر ساحرا واضواء ترقص على صفحته ، وغرقت في جماله ولم الحظ ان المطر قد اخترقني حتى قاع عظامي . . . بعد ساعة كاملة من التيه في الفيافي والقفار اللندنية ، حين ركبت التاكسي المبارك لاحظت انني مبتلة كفأر حقل في العاصفة . . . وحننت الى بيروت حيث يطاردك سائقو التاكسيات . . وقال صديقي أن علينا ان نصوم عن الذهاب للمسرح أيام اضراب السائقين ، وأنه من زمان ، ايام كانت لندن هي لندن ، كان اصحاب السيارات الخاصة يساهمون في نقل الركاب بدعوتهم لركوب سياراتهم حين يضرب سائقو التاكسي . . وطبعا انقرضت هذه العادة الانكليزية الحلوة منذ تفشت موجة الجريمة والعنف ، وصار الناس يقفلون على

Akhawia.net

انفسهم ابواب سياراتهم اثناء التنقل ليلا بها خوفا من السرقة والخطف . . و . .

مهرجان العالم الاسلامي

في النادي الخاص بالعاملين في الـ بي . بي . سي ، كنت برفقة الصديقة ليلى طنوس العاملة في قسمها العربي، والتقيت بالشاعر صلاح نيازي والاستاذ صلاح عز الدين وحين سألتهما عن اهم ما يستحق الكتابة عنه في لندن اتفقا على ان اهم حدث في لندن هو مهرجان العالم الاسلامي الذي سيقام في لندن في السنة المقبلة ويجري التحضير له منذ الآن على نطاق واسع . . . وكان من المفروض ان التقي ببول كيلر ـ احد العاملين الانكليز في المؤتمر ـ ليحدثني عنه ، لكن الظروف خربت اللقاء . . وذكر لي بعض الاخوان ان الصهيونية بدأت منذ الآن في العمل ضد المهرجان ، وان الصحف التي تمولها بدأت بمهاجمته بصفته مظاهرة عربية واسعة (خصوصا جريدة الدايلي تلغراف) وقد رد عليهم ـ حتى الآن ـ هارولد بيلي رئيس اللجنة التي تشرف على الاعداد للمهرجان .

وحدثني الاخ ماهر عثمان عن ذلك بمزيد من التفصيل :

- سيكون اضخم مهرجان ثقافي تشهده لندن .
- سيشمل المهرجان مختلف وجوه الحضارة الاسلامية وشتى مساهماتها في التراث الانساني .
- ميزانية المهرجان ستزيد عن مليون جنيه استرليني .
- يدوم ثلاثة اشهر كاملة .
- سيتمثل في ١٥ معرضا تقام في عدد من اشهر واعرق المتاحف والمعارض اللندنية .
- سيجري نشر ١٥ كتابا بمناسبة المهرجان كما سيتم عرض عدد من الافلام عن الحضارة الاسلامية .
- سيعقد معرض في « هيوارد جاليري » برعاية مجلس الفنون البريطاني بعنوان « الفنون الاسلامية » وهو اول معرض ضخم من نوعه منذ معرض ميونيخ بألمانيا للفنون الاسلامية الذي عقد عام ١٩١٠ .
- تمويل المهرجان من : السعودية ، الكويت ، الاردن ، قطر ، ايران ، مصر وغيرها من البلدان الاسلامية .
- مجلس امناء مهرجان العالم الاسلامي كان قد شكل في لندن عام ١٩٧٣ بقصد ادارة المهرجان ثم تقديم برنامج ثقافي مستمر . ويرأس مجلس الامناء السير هارولد بيلي

Akhawia.net

سفير بريطانيا السابق في مصر . . . .

وبعد ، فان توقيت هذا المهرجان ذكي جدا . . فالغـرب اليوم يتلهف الى اعـادة اكتشاف العرب . . . والمهرجان الاسلامي سيعرض وجها تراثياً من وجوه العرب . . الا وهو الحضارة التي غذاها الاسلام .

Akhawia.net

لندن ١٧/ ٧/ ٧٥

في مكتبة « فويلز » بلندن . . .

حين يطلقونني في مكتبة غنية بكتبها ، اشعر بالانبهار والفرح والامتلاء ، مثل طفل في مخزن الالعاب ، او قط جائع في وليمة للعيان .

وبخشوع مؤمن في معبده كنت اطوف هذا الصباح بين رفوف مكتبة « فويلز » الكبيرة في لندن حين فوجئت بسلسلة من الكتب العجيبة الغريبة وأسمها « دليل المخادعين » أو « كيف تبلف » .

تناولت كتيبا منها وتأملت عنوانه وأنا لا أصدق ما تقرأه عيناي ! الكتيب اسمه « كيف تخادع لشق طريقك في عالم الفلسفة » .

للوهلة الاولى ظننت أن المؤلف يمزح وأن الكتاب ينتمي الى تلك المسلسلات الفكاهية الضاحكة التي تحمل عناوين مثيرة وتتضمن محاولة ناجحة او فاشلة لرسم ابتسامة على الوجه الكالح لحياة الانسان المعاصر .

وتناولت الكتيب وقلبته ، ففوجئت بأنه ليس في الأمر نكتة بل ربما مأساة ! فالكتاب قد تم تأليفه للغرض المذكور في عنوانه وهو ، ببساطة ، ارشاد القارىء الى بعض الاسماء والمعلومات السطحية التي يستطيع أن يتفوه بها كالببغاء في سهرة ما بحيث يتوهم سامعوه انه علامة في عالم الفلسفة وأنه سقراط عصره وارسطو زمانه ! تابعت تقليب بقية كتب السلسلة الموضوعة على رف خاص في مكان بارز ، وهي كالكتاب السابق ولكن في حقول أخرى : « كيف تخادع لشق طريقك في عالم الفن » ، « كيف تخادع لشق طريقك في عالم الموسيقى » ، « كيف تخادع لشق طريقك في عالم السياسة » ، « . . . في عالم المحاسبة . . . والجاز . . . والادب . . . والاوبرا . . . والاعلان . . . والمسرح . . . وغيرها من المجالات الاخرى التي يكدح البشر عادة للالمام بها ! وها هي كلها امامك على الرف مثل المعلبات الجاهزة في « السوبر ماركت » ولا يتطلب منك امتلاكها غير دفع ثمنها !

عدد الكتب التي صدرت من هذه السلسلة حتى الآن ٢٠ كتابا ، لكن النجاح الكبير الذي تلقاه ، بشهادة موظف المكتبة سيشجع بلا ريب مؤلفها على توسيع السلسلة حتى تغطي مجالات الحياة كافة مساهمة منه في خلق المواطن الغربي في عصر الفضاء ،

Akhawia.net

المواطن الذي يجهل كل شيء عن كل شيء لكنه يتقن التظاهر بالمعرفة في كل شيء ! انسان عصر المخادعة والقشور والزبد !

وابتعت نسخة من « كيف تخادع لشق طريقك الى عالم الفلسفة » وهو ، كما يقول غلافه الأول ، « يضمن معرفة واسعة فورية » ، وكما يقول غلافه الثاني ، « وأنت ايضا تستطيع أن تكون مزيفا ناجحا .هل تشعر بالنقص لأنك تجهل موضوع النقاش ؟ اقتن دليل « البلف » ليساعدك على التظاهر بالمعرفة ، وسوف تبدو لهم ذكيا كما يبدون لك » !

ويقول المؤلف في مقدمته : « غاية الكتاب هي منح القارىء المرتبك معرفة سطحية بالامور لكنها تكفي لخداع السامعين ، وتزويده بقشرة من المعلومات بحيث يبدو لسامعه وكأنه من الراسخين في العلم » !

وفي الكتاب قائمة قصيرة باسماء الفلاسفة التي على « الغشاش » حفظها ، مع جملة شهيرة او حكاية نادرة يستطيع استعمالها كـ « كليشيه » لاثارة شهقات اعجاب الجالسين . فاذا كان الحديث مثلا يدور حول النوم والحلم ، فما على « البليف » الا القول بصوت شاعري متهدج : « ذكر ديكارات في تأملاته الفلسفية أنه لا يجد مبررا كافيا للتمييز بوضوح تام بين حالة الصحو وحالة النوم والحلم » ، وأن شكسبير قال « نحن مصنوعون من المادة التي صنع الحلم منها ، وحياتنا الصغيرة محاطة بالنوم » !

والكتيب يزود القارىء بـ « كليشيهات » كهذه ، وباسماء سقراط وكانت وسبينوزا وداروين وديوجين وتوماس مور وشوبنهاور وماركس وفولتير ، مع جملة واحدة او حادثة واحدة تحفظها عن كل واحد منهم . ويقترح على القارىء اختراع اسم لفيلسوف وهمي ، غوتا بوجري مثلا ، على ان تمنحه الجنسية الهندية وتلصق به كل الافكار السفسطائية التي تشعر برغبة في تأكيدها !

غوتا بوجري ! في عصرنا الرديء هذا ، المليء بالعقد النفسية ومدعي العلم ، لو ذكر احدكم اسم الفيلسوف « الوهمي » الهندي غوتا بوجري في احدى الجلسات ، ترى كم من الجالسين سيقولون ببساطة انهم لم يسمعوا به ، وكم منهم سيؤكدون انهم قرأوا كتبه كلها وقد يسارعون الى تسميتها ؟ ! .

أبشع ما في كتاب «كيف تخادع لشق طريقك الى عالم الفلسفة » هو ذلك الفصل الذي يتحدث عن أهمية التظاهر بالفهم والمعرفة الفلسفية من أجل اصطياد النساء اللواتي يعجبن غالبا بـ « المفكرين » ! وينافسه في البشاعة ذلك الفصل المليء بالنكات الرخيصة والبذئية ، والسخرية من فتاة وقعت صريعة غرام رجل عطس أمامها لأنها ظنته يقول

Akhawia.net

شوبنهور (اسم فيلسوف) !

صفحة بعد صفحة تحزن وانت تقرأ عن الفلسفة في مجال البذاءة والتنكيت الرخيص ، وتحس بما يحسه غواص قضى حياته في صيد اللؤلؤ واصابه ما أصاب الذين عناهم السيد المسيح بقوله « ولا تطرحوا جواهركم قدام الخنازير ، فتدوسها بارجلها وترجع عليكم فتمزقكم » !

هذا ما فعله المؤلف بجواهر عطاء الفلسفة ! سلسلة « دليل المخادعين للبلف » تثير في قلوب عشاق الكتاب حسرة ما بعدها حسرة ! من زمان كان الكتاب وسيلة لنشر المعرفة وصار اليوم وسيلة لنشر الجهل ! ذلك المسكين الذي اخترع المطبعة ، وهو يتوهم انه باختراعه هذا سيساهم في انتشار الكتاب والعلم ، وهل كان يدري ان اختراعه هذا سيساهم في انتشار نموذج « المثقف الجاهل » او « المثقف المزيف » ؟ ! .

لقد كانت المعرفة هي الأمل الوحيد الباقي للانسان ليستعيد انسانيته ، وها هي المعرفة تقع ايضا سبية في ايدي قراصنة العصر الاستهلاكي ، وها هو الغرب يقدم بكل وقاحة على ارتكاب جريمة قتل الامل ، وها هو يبدو وكأنه يقف على أعتاب عصور وسطى جديدة .

ويساهم دونما رحمة في خلق جيل من الفارغين البائسين ، الذين حياتهم الداخلية خواء يشبه خواء صرصور أكله النمل من الداخل ولم يبق منه غير هيكله البراق ملتمعا تحت فلاشات العيون المقتولة بعبادة المظهر الخارجي والحذلقات الصالونية . . .

لقد فسد الملح !

Akhawia.net

لندن ١٩/ ٧/ ٧٥

المال العربي في اوروبا

المال العربي هو نجم الموسم في اوروبا . . . فقد طارت شهرته ، وصار لا يذكر الا مصحوبا بشهقات الاعجاب والحسد والتمني . . .

ويتحدثون في لندن عن « المال العربي » ويتغزلون به ويسيل « لعابهم الفكري » لذكره . . .

وأصاب الصحافي البريطاني مايكل فيلد (المحرر الاقتصادي في جريدة « الفايننشال تايمز » و « الصنداي تلغراف » و « الاميركان بانكر ») بعضا من « الثراء » حين اصدر كتابا يتحدث عن « الثراء العربي » اسمه « مئة مليون دولار في اليوم » . ونفذت الطبعة الانكليزية فيما سجلت الترجمة الفرنسية ارقام مبيعات هائلة . . .

ويذكر الكتاب أن دخل بعض الدول العربية البترولية يفوق مئة مليون دولار في اليوم ، وأن العرب يستطيعون شراء كل سيارات شركة « ليلاند » الانكليزية من دخلهم في ٣٠ ساعة فقط ! . . ويستطيعون شراء « بنك اميركا » من دخلهم في ١٦ يوما فقط ! . . ويستطيعون شراء مئة طائرة « كونكورد » من دخلهم في ٣ أشهر واسبوعين . . . ويستطيعون شراء الاوراق المالية كلها في بورصة لندن في سنة ونصف . . . ويستطيعون شراء كل الذهب الموجود في البنوك الرسمية العالمية في ٥ سنوات فقط وشراء كل اسهم الشركات العالمية في بورصات العالم كله في ربع قرن فقط ! . .

إن في وسع العرب إذن أن يشتروا ذهب العالم كله في اعوام قليلة . . .

ولكن ، ماذا يجدي العرب ذهب الدنيا وثروات الارض ما داموا فقراء على صعيد العدالة ، وما دام توزيع الثروات يسمح بموت البعض جوعا او شوقا الى الكتاب والدواء والرغيف ؟ ! .

ان المال العربي في ٢١ سنة يكفي لمنح كل عربي حي على وجه الارض مبلغ ١٠٠٠ فرنك فرنسي في الاسبوع (اي حوالي مئة دينار اسبوعيا) ، ومع ذلك فما زال في وطننا العربي من يمشي حافيا ويستعطي ، وما زال الكثيرون في قافلة الفقراء البسطاء يموتون جوعا واهمالا وسرا كاللقطاء على ابواب بعض المسؤولين « الكادحين » لتهريب ملايينهم

Akhawia.net

الى اوروبا خوفا من الطوفان الذي لا تجدي معه سفينة نوح .

وحين لا تكون العدالة توأما للثراء ، يصير الذهب لعنة ، والمال نقمة لا نعمة . . . فهل ؟ . . أم ؟ ! .

* * *

. . . والصحفيات البريطانيات يعجبن ايضا بـ « المال العربي » اكثر من اعجابهن بعمر الشريف . . . ويلاحقن الاثرياء العرب المقيمين في لندن أو الزوار . والتي لا تفوز بـ « كاديلاك » تكتفي بفوزها الصحافي فتقوم بكتابة موضوع لئيم عن الثري العربي . . . وفي جريدة « الايفننغ نيوز » ، عدد ٢٦ ـ ٥ ـ ٧٥ ، تصدرت الصفحة صورة لوجه عربي الملامح ومقال لصحافية بعنوان « حينما ينثر شيخ عربي نقوده » . . . وتتحدث الصحافة عن ثري عربي يقتني سيارة « ميني » مزودة بكماليات « الرولز رويس » كالبراد والتلفزيون والتلفون داخل السيارة . . وتروي كيف قابلته في فندق « هيلتون » في جناحه المزود ببيانو فاخر ! .

والمقال في مجمله يشهر بالعرب على لسان الكاتبة وعلى لسان الذين استجوبتهم من بائعي السيارات وسماسرة البيوت الذين يتعاملون والعرب ، والذين وصفوا كيف يأتيهم العرب وحريمهم المكون من عدة نساء لشراء اكبر السيارات حجما حتى ولو كانت السيارة تنفق برميلا من البترول لقطع امتار عديدة ! واتفق الجميع على ان العرب لا يمتلكون شيئا من « الحضارة » رغم محاولاتهم امتلاك ادواتها الميكانيكية ! .

والسؤال الموجه الى بعض الاثرياء العرب : ألا يكفيكم ان تسرقوا نصيبنا من ثروات بلادنا حتى تستغلوها ايضا لسرقة سمعتنا في الغرب ؟ ! .

* * *

وحملة الغيرة والتشهير على « المال العربي » تزداد شراسة في اميركا ايضا ، وقد امتدت حتى شملت المجلات الفكاهية غير السياسية ، فخصت مجلة « كراكد » ، العدد ١٢٦ ، العرب بأربع صفحات كاملة سخرت فيها من تعاملهم مع الادوات الحضارية ، فهم يلعبون الغولف بالسيف ويعبئون خراطيم البنزين بـ « البارفان » للعبث مع نسائهم ، ويستعملون الغرف المصفحة في البنوك لسجن حريمهم في أمان ، ويركبون جمالا هودجها قبة مكيفة الهواء ، وبدلا من النوم فوق سرير فراشه مملوء بالماء (الفراش « المودرن ») فانهم ينامون فوق أسرة مملوءة بالبترول ، أما اختراع المراقبة التلفزيونية (كلوزد سيركويت) فيستعملونه لمراقبة جسد راقصة هز البطن من الزوايا كلها ! . .

Akhawia.net

هذا التشهير بالشعب العربي يستحقه اكثر اثريائنا العرب في اوروبا ولكن متى تنطلق صرخة الاعلام العربي المضاد لتنقل الى الدنيا حكاية ١٤٠ مليون عربي كادح ؟

* * *

المتحف البريطاني شاسع ويضم كل شيء . فيه الكنوز كلها التي نهبتها بريطانيا من الشعوب الاخرى على طول تاريخها . فيه مومياءات من مصر ، وتماثيل وكتابات فرعونية ، وفيه آثار بابلية واغريقية وفارسية ورومانية واسلامية وافريقية . . . فيه قطع منهوبة من آثار الشعوب كلها : توابيتهم وآنيتهم ومخطوطاتهم وتماثيلهم وحتى جثثهم (مومياءاتهم) ! وانا حين امشي في المتحف البريطاني أشعر انني في مغارة شاسعة لسارق ذواقة نهب كنوز الدنيا على طول العصور وحبسها في مغارة الاربعين حرامي هذه .

ولو طبقوا على المتحف البريطاني قانون « من أين لك هذا » لما تبقى فيه شيء غير حراسه وجدرانه ولافتاته ! لو حاكمته محكمة العدل الدولية مثلا بقانون « من اين لك هذا » لفرغ تماما من كل ما يحويه ، ولاعيدت المسروقات الى وطنها الاصلي ، ولنامت عيون المومياءات ولهدأت عظامها بعد قرون من التشرد والاسر !

Akhawia.net

باريس ٢١/ ٧/ ٧٥

اختـرع الانســان الطــيران ... ونسي التحليق !!

حقول السحب البيضاء وكثبانها تمتد الى ما لا نهاية ... وكذلك توقي الى اكتشاف المجهول ، في مدينة تنتظرني بكل اسرارها ... المضيفة تعرض علينا كيفية استعمال قناع الاكسجين في حال وقوع خلل في ضغط الطائرة ... وكيفية استعمال حزام النجاة في حال سقوط الطائرة (حزام النجاة الوحيد الحقيقي هو القدر والصدفة) .. ما تزال المضيفة تلصق قناع الاكسجين على وجهها . أشعر بأنني كمن يرى المسرحية ذاتها للمرة المئة ، تقدمها فرقة مدرسية سيئة من الهواة . المضيفة تنتهي من دورها الممل . تتابع دورا اخر في التنقل بين الركاب و« تضييفهم » قطعا من الشوكولاته .. تبتسم لركاب الدرجة الاولى اكثر مما تبتسم لركاب الدرجة الثانية ، فلكل شيء تسعيرة ، حتى الابتسامة .. ما ابشع الابتسامة في سوق البورصة ... كان الانسان يمتاز على بقية الحيوانات بأنه حيوان مبتسم . الان لم تعد الابتسامة اكثر من تقليصة في الوجه ، وجذب في عضلات الفكين ، وكلما ارتفعت التسعيرة ، اشتد التقلص واتسعت انفراجة الفم ، الشبيهة بقسمات وجوه الجثث في البرادات ...

أغمض عيني هربا من كل شيء . يقتحمني صوت القبطان متمنيا لنا رحلة سعيدة ، ومنذرا بأن درجة الحرارة في باريس هي سبت درجات فقط لا غير ...

الريح الباردة في مطار باريس تؤكد صدق القبطان ... برد شديد لاذع ... هذا الصيف الاوروبي المخادع ، يغيظني ... وشمس الصيف الاوروبية تشبه مصباحا باردا مطفأ مطليا بالاصفر ، ومثبتا في ركن السماء ...

والذي يثير مزيدا من الغيظ ، أن الصحف والمجلات واعلانات المخازن وواجهاتها تتحدث عن الصيف اكثر مما تحاضر الغانية عن الفضيلة ...

هنالك اعلانات لا تحصى عن زيت البحر ، وقد عبىء في زجاجات على شكل ميداليات تعلق في الرقبة . كي تحملها معك كيفما تحركت على الشاطىء . وفي هذا الطقس ، تتساءل : هل المفروض أن أدهن هذا الزيت فوق ثيابي أم تحتها ؟ ففي هذا

Akhawia.net

البرد ، لا يستطيع الانسان أن يتحرك بدون معطف ،بينما تبدو الاعلانات وكأنها موجهة لأحد نوادي العراة . وبينما انت تسبح تحت المطر ـ بدون زيت بحر ـ تلاحقك توصيات الاعلانات بارتداء المايوه ذي الماركة الفلانية لاكتساب اللون البرونزي ، وتتساءل : هل المقصود بالاعلان السباحة تحت ماء المطر الصيفي البارد ؟ . . . هنالك أيضاً توصيات باستعمال كريم معين لاجل امتصاص أشعة الشمس ، وكريم آخر ضد الشمس ، ويبقى السؤال : اين الشمس ؟! وحتى اعلانات الماكياج ، اكثرها يتحدث عن ماكياج لا يزول بماء البحر ، ولكن من يذهب الى البحر في هذا الطقس البارد ؟ ولعل الذي وضع الاعلان لاحظ ذلك ، فلم ينس ان يذكر ان استعمال هذا النوع من الماكياج يوفر للمرأة متعة البكاء من دون افساد ماكياجها . .

التاكسي يركض بي في شوارع باريس ، والعاصفة الرعدية تفترسها ، والمطر يجلدها ، ويغسل واجهات الدكاكين المضاءة ، وكلها يعرض المايوهات الجديدة والثياب شبه العارية والملابس الشفافة والخفيفة . . . وتمنيت لو اركض في الشوارع تحت المطر من واجهة الى اخرى ، واكتب على زجاجها : البكيني لا يصنع الصيف ، كما ان السنونو لا يصنع الربيع ، والديك لا يصنع الفجر ! . . لكن اوروبا تتعرى على رصيف الصيف وتنتظر شمسا لا تشرق . . .

الفندق بلا تدفئة وانا ارتجف بردا ، وأسأل العجوز التي تفوح من فمها رائحة الخمرة : « لماذا لا تدفئون الفندق ؟ الطقس بارد ، وان كانت الروزنامة تصر على اننا في الصيف » . قالت وهي تتأمل ملامحي العربية : انتم السبب . انكم تحرموننا من البترول . . . صرنا مضطرين للتدفئة ببترولنا الخاص . . . انه النبيذ الفرنسي . . . وضحكت ثملة ثم قالت وقد التمعت نظراتها : لم اكن اشعر بالبرد من زمان . . . أما اليوم ، فلم يعد زوجي قادرا على تدفئة احد . . . انه الآن بارد جداً ، فهو ميت . . .

وقهقهت كالساحرات في مسرحية شكسبيرية ، ثم غادرت الغرفة ، بينما وقفت أتأمل مكانها الفارغ ، واحس بخواء حزين . . . هذا العالم كم هو مرعب وساحر . . . اولئك البشر كم هم مذهلون . . . لحكاياهم العاذية احيانا رنين حاد كالاسطورة. . .

الدعاية الاسرائيلية . .

اول شيء فعلته في باريس ، هو حجز مكان على طائرة تغادرها . . . فبعد أن حجزتني اضرابات عمال المطارات عدة ساعات في مطار لندن ، وبعد ان وجدت مشقة في مغادرتها ، صار همي الاول التأكد من انني لست سجينة في مدينة ما كي استطيع

Akhawia.net

الاستمتاع باقامتي فيها . . . فالاقامة الارغامية تضايقني حتى ولو كان المكان باريس نفسها . . . في مكتب « السويس اير » بشارع الاوبرا بباريس ، وبينما الموظف الخاص يتعاون والكومبيوتر على رسم بعض الخطوط في بطاقة سفري ، وانا أتأمل المكان ، شاهدت على المنضدة الملاصقة لكراسي الانتظار كراسات دعائية لاسرائيل ، تدعو السياح الى زيارتها . . . شعرت برغبة حادة في تصحيح كل ما ورد في الكراس ، ابتداء من العنوان ، وشطب كلمة اسرائيل ، ووضع كلمة فلسطين مكانها . إنتهى الموظف واعاد لي بطاقتي فخرجت مغتاظة ، تتقاذفني الرغبة في القاء قنبلة على المكان ، والرغبة في تفهم عدم سوء نية القيمين على المكان . . .

ايمانويل

في باريس ظاهرة أحب ان اسميها « الايمانويلية » ، نسبة الى فيلم « ايمانويل » الذي بدأ عرضه في العام الماضي باحدى صالات الشانزيليزيه الكبرى . . . اذكر انني كنت بباريس في اسبوع العرض الاول للفيلم ، وقد توقفت امام الصور ولم تجذبني ، فلم أحضره . . . وكان اقبال الناس على الفيلم ملحوظا . وذات مساء ، وبينما كنت في احد المسارح ، جلست خلفي سائحة اميركية خمسينية ، تروي احداث الفيلم بصفاقة وبذاءة ، فقررت أنه لا بد ان يكون سيئا كي ينال اعجاب امرأة مثلها . . .

وفي لندن ، شاهدت هذه المرة صفا طويلا من الناس على باب احدى افخم دورها السينمائية . . وادهشني ان الفيلم الذي يتدافعون لمشاهدته هو « ايمانويل » ! . . . وبقيت على عنادي ولم ادخل اليه . . . وها انا اليوم في باريس ، افاجأ بظاهرة نجاح صاعق اسمها ايمانويل ، والصحف تتحدث عن الفيلم ، والفيلم يعرض في ثلاث دور للسينما لا في دار واحدة : في (سينما بارامونت في مونبارناس ـ اوديون بالسان جرمان ـ تريومف بالشانزيليزيه) . . وصف طويل من الناس على باب كل منها . . .

وهذه المرة دفعني الفضول للدخول ، واكتشاف ماذا كتبت المؤلفة الفرنسية ايمانويل أرسان ، حتى استحقت هذه الجماهير كلها ؟ . .

وكان الجواب مفاجأة . . .

وجدتني امام فيلم بذيء رديء تمنح بطلته نفسها لرجلين لا تعرفهما على مقاعد الطائرة اثناء الطيران من باريس الى تايلاند . . . في الدقائق الاولى من الفيلم . . . ثم تمارس الشيء ذاته تقريباً مع كل شخص تلتقي به في الفيلم ، ومع ذلك فقد شاهد هذه التفاهة أكثر من ١٦ مليون متفرج حتى الآن .

Akhawia.net

الذين اخرجوه قرروا استغلال نجاحه في انتاج ملحق له في (ايمانويل ٢) و (ايمانويل ٣) ، على طريقة فيلم (العراب ٢) ، الذي يستغل نجاح العراب الاول ويقرر متابعة سرد سيرة ما تبقى حيا من ابطاله ! . . . (وقد صدر كتاب ايمانويل ٢ وترجم في وقت واحد الى الانكليزية والالمانية !!) . .

ولكن أجر ممثلة ايمانويل لن يبقى على حاله . . لقد تقاضت سيلفيا عن دورها في (ايمانويل ١) مبلغ ٣٥ الف فرنك فرنسي ، وسوف تتقاضى عن (ايمانويل ٢) مبلغ مليون فرنك !! . . .

امام هذه المعجزات المالية والجماهيرية يتزايد فضولك . . . وتجد نفسك وقد اشتريت الكتاب الذي كان وحيا لهذه التحفة السينمائية . انه كتاب « ايمانويل » للمؤلفة ايمانويل أرسان .

تقرر أنه ربما كانت الرواية عظيمة ، والمخرج قد مسخها مثلا . . . وبعد ان تقرأ الرواية تصير صدمتك مزدوجة . انها مجرد رواية جنسية ، ولكنها مكتوبة باسلوب (أدبي) ومطعمة بالحوارات المتفلسفة (المتفزلكة) كأنما تهدف الى ستر عوراتها تحت قشرة (الفكر) . . . قشرة من العمق الظاهري ولكن النتيجة باهرة على صعيد الجماهير كما يبدو . . .

سام هاسكينز

من الافلام التسجيلية القصيرة ، فيلم رائع يعرض في أوروبا عن المصور الفوتوغرافي العملاق « سام هاسكينز » . . ففن التصوير هو اليوم في الغرب ابداع معترف به تماماكفن النحت او الرسم بالزيت ، « وسام هاسكينز » من مبدعيه الكبار . . مناسبة الفيلم ، معرض الرسام المسمى « صور افريقية » ، ولكن الفيلم لا يكتفي بتسجيل المعرض بل ويتعداه الى اسلوب سام هاسكينز في العمل ، ورؤ ياه الخاصة للمرأة والجسد والحب . . . ونراه بين موديلاته يصورهن ، ويرشدهن كيف يمنحن أنفسهن للكاميرا ، ثم نراه مع موديله المفضل يصورها ، ثم نسمع آراء اللواتي عملن معه ، فيه وفي فنه . . .

وهكذا نجد أن فن الرسم بالكاميرا قد ثبت نفسه نهائيا هنا كفن معترف به . . . وصارت له صالات عرض دائمة ، كرست نفسها لنتاج رسامي الكاميرا . . . ففي باريس قاعة عرض دائمة تعرض حاليا مجموعة من صور الفنان « جان دوزيال » ، وهي تبدو أشبه بلوحات تجريدية ورسوم غرافيكية سوريالية ، منها بالصور الفوتوغرافية . . . وفي لندن ايضا معرض دائم للفن الفوتوغرافي .

Akhawia.net

معرض بورجيه للطائرات . . .

تتعب من المشاهد المتكررة . . . دور سينما . . . صف طويل من الشبيبة بالجينز . . . مسارح . . . معارض . . . شوارع مزروعة بالبرد والوجوه الزجاجية العيون . . . تقرر أن تجرب حقلا خارج اختصاصك ، تسمع بمعرض الطائرات الشهير في مطار بورجيه (أحد مطارات باريس الثلاثة واقدمها) تقرر الذهاب . . .

مساحات شاسعة من الارض تجثم عليها عشرات الطائرات . . . طائرات مختلفة الاحجام والاشكال . . اكثرها عصري محشو بمختلف وسائل الطيران الكومبيوترية والالكترونية . . . تتأملها بحزن وتفكر : لقد اخترع الانسان الطيران ولكنه . . . نسي التحليق ! . . .

تتذكر عباس بن فرناس ، ومحاولته الفريدة للطيران عن ارض الواقع ، وكيف دفع حياته ثمنا لشهية التحليق . . . تجد في المعرض رسومات ومخططات دافنتشي عن آلات بدائية تستطيع الطيران وتجد من يحدثك عن اجهزة حديثة للطيران يتم العمل عليها ، بحيث يحلق الانسان بواسطتها بمفرده . . كالطائر .

نحن الآن في معرض بورجيه الواحد والثلاثين (كل عامين معرض ، وقد افتتح لأول مرة منذ حوالى ٦٢ سنة) . وتشترك فيه هذا العام كل دول العالم التي تعمل في صناعة الطائرات (فرنسا ـ انكلترا ـ اميركا ـ روسيا ـ وغيرها . .)

في المعرض طائرات مصنوعة خصيصا للدمار ، تقف وبراءة الاطفال في محركاتها ، وتدور امام المنصة الرئيسية كما تفعل المرشحات في انتخابات ملكات الجمال ، ثم تحلق فوق المطار في دورة استعراضية ليتأملها رجال الصحافة والناس ووكلاء البيع والشراء . . وتتنافس حاليا المقاتلات الفرنسية (ميراج) صنع داسو والاميركية (جنرال ديناميكس) . والذي يربح سيكون له شرف ابادة عدد أكبر من الاحياء في حروب مقبلة كحرب فيتنام . . .

تلفت النظر ايضا طائرة الكونكورد ، الشبيهة كثيرا بطائر اللقلق ، والجاثمة تحت الضياء كطائر اسطوري غامض من الفضة البراقة . . . أتأملها باعجاب يشبه الكراهية الخائفة . . أمامها يقف من يحدثني عنها : هذه الطائرات التي يشبه شكلها الطيور ، تطير كما لا يقدر طائر . . . انها اسرع من الصوت بمرتين ونصف ، اي انها تقطع المسافة بين نيويورك وباريس في ثلاث ساعات ونصف ، بدلا من سبع ساعات . شركة « رولز رويس » هي التي تصنع محركاتها بالاشتراك مع شركة « سنكما » الفرنسي . . .

Akhawia.net

الكونكورد هي طبعا طائرة المستقبل .

وقلت لمحدثي : لا اعتقد ان الكونكورد هي طائرة المستقبل . ما جدوى ان تقطع المسافة بين نيويورك وباريس في ثلاث ساعات ، اذا كنت ستهدر بقية وقتك في روتينيات المطار والحقائب والتفتيش والامن العام ، عدا عن اضطرار الطائرات ـ في المطارات الكبيرة ـ الى ان تحوم فوق المطار ريثما يؤذن لها بالهبوط حين يحين دورها . . فالطائرات الحديثة صارت مضطرة للوقوف في صف طويل كصفوف البشر في اوروبا على ابواب دور السينما والمسارح . . . وهكذا فإن ما توفره الطائرة من الوقت بسرعتها ، يهدره الانسان بعجزه عن اللحاق بالآلة . . .

وتتابع دورتك بالمعرض . . . تتأمل عصفورا جميلا يطير محلقاً ثم يقف داخل محرك احدى الطائرات (وربما كان ينصب عشا) يلح عليك ذلك الشعور المرير ، بان الانسان اخترع الطائرة لكنه نسي التحليق بالمعنى الانساني . . يضيق صدرك . . تهرب راجعا الى زحام الشوارع الباريسية . . .

باريس . . . الكان كان

حين تمشي يوم السبت مساءً على رصيف الشانزيليزيه ، متأملا رواد مقاهي الارصفة وزحام المشاة ـ رغم البرد ـ يداخلك شعور بانك في يوم القيامة . . . فالوجوه المتدفقة امام عينيك تنتمي الى جنسيات العالم كلها . . وجوه اوروبية وافريقية واسيوية تتلاحق . . . كل الاجناس والعروق والالسنة اجتمعت هنا . . . دقائق . . . ثم تتعب ، ربما لأن كل ما يفعله هذا الزحام هو انه يحيط بوحدتك كالاطار ، ويبرزها لعينيك كالخنجر خارج غمده . . .

تجلس على اول مقعد فارغ تلقاه في أول مقهى ، وتتابع التأمل . . . تأتي فتاتان (هيبيتان) تعزف احداهما على الجيتار وتغني . ويبدو أن رواد المقهى قد سئموا هذا المشهد المتكرر ، ورغم جمال الفتاة فقد اشاح الجالسون عنها بوجوههم متشاغلين باشياء اخرى ، وتأكد لي ذلك حين دارت رفيقتها بين الجلوس لجمع النقود ، فلم يدفع احد حتى ولا خجلا ، وحتى الشاب العربي الاسمر الذي ركزت عليه الفتاتان جهودهما الفنية والمادية ، ظل يتأملهما بعينين تفيضان باللامبالاة . . . لقد نضج الشاب العربي في مواجهة « الشعر الاشقر » أو انه بدأ يسير في طريق النضج . . . وصدمة الحضارة الاولى قد انجلى غبارها وزبدها . . . وبدأ الغرب يرى صورة جديدة للشاب العربي وعلاقاته في مواجهة المجتمع الغربي عامة ، ونسائه خاصة . . . ومقابل هذا النضج العربي

Akhawia.net

وروجولته المميزة ، نجد أن الشاب الغربي ما يزال يمعن انزلاقاً في درب التخنث ، وفيما مضى ، كان اتخاذ اوضاع (مثيرة) وقفا على الغانيات اللواتي يرغبن بإلتقاط صورهن في غرف نومهن ، أو في « بانيو » الحمام لتحريض خيال المتفرج . أما اليوم فقد انتقلت هذه العادة الى بعض كتاب فرنسا الشبان ، ومؤلفيها المسرحيين والموسيقيين ، أبرزها صورة المؤلف الموهوب « فرنسوا ورثيمر » (مؤلف مسرحي وموسيقي) الذي تصور عارياً في فراشه الوثير ، وسط فقاعات الصابون والرياش المحرضة للخيال منافسا برقته « مارلين مونرو » نفسها .

الجنس الموحـد !

و« فرنسوا ورثيمر » ليس ظاهرة فريدة ، بل هو جزء من موجة صممت فيما يبدو على الغاء الفروق بين المرأة والرجل ، (على الاقل من طرف الرجل !) . . . ولم تعد المشاركة قائمة على الازياء الموحدة ، بل تعدتها الى التسريحة الموحدة التي هي اليوم موضة الشبيبة الباريزية ، ونرى فيها قصة شعر واحدة للشاب والفتاة ، وتسريحة واحدة لكليهما . . . ولكن ذلك لا يمر دون سخرية الناس ، وتعبر عن هذه السخرية بعض الصحف في صفحاتها الكاريكاتورية . . . أطرفها يمثل صورة اثنين مثلا أمام الكاهن لعقد زواجهما . . ويقول لهما الكاهن : بما انني لا استطيع ان أميز العريس من العروس ، لذا اسألكما هل يقبل « احدكما » بالاخر زوجا له ؟ ! . . .

وصحيح ان باريس تضحك من الموضة ، وتسخر منها ، لكن الموضة تجتاح على الاقل رصيف الشانزيليزيه ، ومهمة التفريق بين الانثى والذكر شبه مستحيلة ، والانسان الغربي الذي طالما ثار على الزي الموحد على طريقة (ماوتسي تونغ) ، قد قذف بنفسه الى هوة (الجنس الموحد) !

كما « حنا » كما « حنين » !

وكما في لندن ، يجتاح العري باريس ، إذ لم تعد ثياب راقصات « الكان كان » الثقيلة قادرة على اجتذاب سواح العصر . . وهكذا فقد بدأت بعض الملاهي بتقديم نمرة «الكان كان » متخلية عن الملابس التقليدية ، ومكتفية بالداخلية منها ، وسقط الفولكلور امام متطلبات العصر المادية ، وفقدت الرقصة العتيقة سحرها وطقوسها . . .

ومنذ صدر في لندن قانون بتحريم البغاء العلني (« ستريت أكت » الذي يمنع المومسات من تلويث الارصفة) لجأت لندن الى ادارة وكالات لبيع اللحم البشري الحي

Akhawia.net

تحت اسماء اخرى مختلفة كوكالات « المساج » ، ووكالات تزويد السواح « بالمرافقات » و «الدليلات» اللواتي يعملن في ارشاد السواح الى قصور اللذة الحديثة ، لا الى قصور بريطانيا الاثرية . . .

اما في باريس فقد اختارت المومسات المواجهة المباشرة ، واعتصمن في كاتدرائية « سان ـ برنار » وفي كنائس أخرى . . . وباريس تتحدث عن « ثورتهن » ، وعن حقوقهن المشروعة في ممارسة « عملهن » دون مضايقات رجال الشرطة . . . وهن يلقين كثيرا من التأييد ، واكثر الناس حماسا لقضيتهن هي « سيمون دي بوفوار » التي نسيت حاليا حماسها لاسرائيل ، وانصبت بكليتها على مناصرة البغاء . . . ما الفرق ؟ . . . .

Akhawia.net

المطارات ٢٧/ ٧/ ٧٥

برقية من مواطنة في مملكة الغربة !

في لندن تأخر اقلاع الطائرة ربع ساعة . في باريس تأخر اقلاعها نصف ساعة . في جنيف تأخر اقلاعها الى زوريخ حوالي ثلث ساعة . في زوريخ تأخر اقلاعها الى اثينا حوالي أربعين دقيقة !

لم تعد طائرات الاوروبيين منضبطة ودقيقة المواعيد كسمعتها ! وكل المزايا الاوروبية الاخلاقية في حالة انخفاض . وحدها الاسعار في ارتفاع !

تأخر اقلاع الطائرات لا يضايقني !

أحب الجلوس في صالات« الترانزيت » الاوروبية الشاسعة ذات الجدران الزجاجية المفتوحة على الخلاء الماطرالمغبر . لماذا ؟ لاادري بالضبط !

ربما لانني حين اتكوم في مقعدي الجلدي في صالة« الترانزيت » أشعر بأنني قد ودعت مدينة ما بكل ما كان فيها ، وخلفتها ورائي ، وها أنا اجلس على الجسر بين مدينتين ، اتطلع الى لقاء الاخرى ، وأحلم بشوارعها التي لم أطأها بعد ، وموسيقاها التي لم اسمعها بعد ، وامطارها التي لم تغسلني ، واسرارها التي لم أدس بفضولي في فرائها بعد ، وربما لانني حين أجلس في صالة « الترانزيت »وحيدة ، أشعر بأنني أواجه الحقيقة العارية .

(وجودنا الفاني على وجه الارض ما هو الا وجود مسافر في صالة« الترانزيت » . وهذه الدنيا باكملها ليست سوى قاعة انتظار كبيرة يحل فيها المسافر قادما من حيث لا يدري . يقضي ساعات فيها . يحب . يضحك . يقاتل . يبكي . يرقص . يكتب الاشعار . ثم فجأة ينادون اسمه ، ولا يملك الا أن يطيع . يمضي الى الابد مع طائرة أخرى الى حيث لا يدري . يصعد اليها عاريا الا من كفن أبيض . يشيعه محبوه واعداؤه من نوافذ صالة« الترانزيت » باكين او شامتين . ثم ينسونه جميعا) . ربما لانني في صالات« الترانزيت » ارى الاشياء بوضوح اكثر وبـ« دراما » أقل !

وربما لان صالات« الترانزيت » مكان محايد . محايد حتى في موقفه من الزمن بحيث أحس ان الوقت يجمد هنا . (ويدهشني ان تتحرك عقارب الساعة في صالات« الترانزيت ») . فالماضي انتهى ، والمستقبل لما يبدأ بعد !

Akhawia.net

وربما لان كل الوجوه التي تمر بي غريبة غريبة ، وهذا أمر يريحني اكثر من مرور الوجوه الاليفة التي علي أن القي عليها التحية وأنا أحس بالغربة عنها !

في صالات« الترانزيت » الغربة عارية بلا اقنعة . وأظافرها غير مختفية تحت طلاء الصداقة المزيف . . في صالات« الترانزيت » أحس بأنني أنا أنا . المواطنة في مملكة الغربة . القادمة من حيث لا تدري والمسافرة الى حيث لا تدري . وعنواني : شارع الليل ـ رصيف الحزن ـ خيمة الرياح ! .

● أنا في صالة« الترانزيت » في مطار جنيف . اليوم الاحد ، ودكاكين المنطقة الحرة مازالت مغلقة . وحده الفجر فتح دكانه الرمادي الشاسع الماطر تحت بعض الطائرات التي ما زالت نائمة .

في القرب مني سيارة صفراء وقد ادارت ظهرها لي ، تحمل لافتة مكتوب عليها : اتبعيني ! انها أغرب لافتة شاهدتها . ربما كانت الطائرات هي المقصودة بعبارة اتبعيني ، لكن في هذا الفجر البارد شبه الفارغ من المسافرين والطائرات شعرت بطريقة ما ان العبارة موجهة الي شخصيا .

«اتبعيني» ، ولكن الى أين ؟ فأمام السيارة انتصب الخلاء الكبير ووراءه الافق الرمادي الزائغ ، ولا دربا للسيارة أو لي . انها سيارة تقودك الى مدينة اللامكان واللازمان ، مدينة المجهول ! ورغم الخوف الغامض المفاجىء الذي غمرني شعرت برغبة في تلبية هذه الدعوة الى مدن سرية . . قررت أن اتبع السيارة اذا تحركت . ولكن وصلت طائرتي قبل ذلك وكانت وجهة الطائرة مدينة اثينا .

وهكذا أضعت فرصة الرحيل الى مدينة المجهول !

● زهرة ياسمين صغيرة بيضاء على أرض صالة« الترانزيت » في مطار زوريخ !

كان الفجر حزينا وباردا ، وكنت أشهر جواز سفري وأرد على اسئلة الموظف المختص بكسل تماثيل الازياء في واجهات المخازن . . وكان الفجر حزينا وباردا ، والنعاس الخامل يلفني بشرنقته حين شاهدت فجأة تلك الياسمينة البيضاء نصف المداسة على البلاط البارد . كيف ؟ ومن اين ؟ وأي ريح قذفت بها الى هنا ؟ كان مشهدها منبها وحافزا للذاكرة كمشهد زرافة في قاعة للمحاضرات مثلا !

تراها ياسمينة دمشقية سقطت من« تشكيلة » عروس مرت بهذا المطار ؟ . . تراها نبتت على سور بيتي العتيق في دمشق ؟ أم في حي مجاور ؟ أم في دربي العتيق الى المدرسة ، من ساحة النجمة مرورا بطريق الصالحية وعرنوس والجسر الابيض ؟

Akhawia.net

وانبسطت دمشق داخل رأسي ، وعدت لاتحرك بين ياسمين الماضي ، وقاسيون ، والليل العتيق ، والدرج العتيق و . . . كان ياما كان !

واستيقظت على زعيق المضيفة معللة قيام طائرتي ، فلملمت الياسمينة من على الارض وقلت للبلاط شكرا ، وتمسكت بها كبدائي يحتضن تعويذته ، واستعنت بها كشراع اواجه به بحرا من الصقيع الرمادي مكوما عند باب المطار في استقبال عدائي كاسر .

ماأقسى بحار الغربة على من لا يملك زهرة ياسمين أو ذكرى ياسمينة !

وفي صدري مزرعة ياسمين .

Akhawia.net

لندن ١٥/ ٣/ ١٩٧٦

صـــار الرحيـــل مسْـــتحيلا . . .

بعد أن استطعت خلال الشهور التسعة الاخيرة القيام بمنجز حضاري كبير خلال حرب ، وهو : البقاء على قيد الحياة ، كتبت الى أخي المغترب في لندن (أزف) اليه النبأ . ولكنه لم يصدق . لقد شاهد في التلفزيون البريطاني بيتي وهو يحترق وهو لا يصدق أنني لم اتحول الى حفنة من الرماد الملون نثروها فوق امواج البحر المتوسط ذات امسية حزينة . . .

وهكذا طرت اليه لمدة اسبوع ليتحسسني خلاله ، ويتأكد من انني ما زلت حية أرزق أو لا أرزق لا يهم . المهم حية فحسب !

* * *

حين هبطت الطائرة في مطار لندن ، شعرت بانني لم اغادر بيروت . . .

حين يصير القلب خارطة للوطن ، يصير الرحيل مستحيلا . وفرحت لانني لم اهرب من بيروت حين كانت تحترق . . فقد كنت ساحترق معها حتى ولو كنت على بعد مئة الف ميل وفرسخ . .

حتى ولو لم نقطن في الوطن ، فانه سيظل يقطننا . . . لذا فالسفر ممكن ، لكن صار الرحيل مستحيلا ! . . .

* * *

الوجود العربي في لندن كثيف الحضور . . . فالوجوه العربية قد استطاعت اثبات وجودها في ملاهي العاصمة ، واحتلت الصدارة في « البلاي بوي كلوب » و « كازانوفا » كما اكتسحت أندية القمار الكبرى بجدارة ! . .

وقد استطاع هذا (الغزو) العربي ترك بصماته في الحياة البريطانية . . فقد دخلت اللغة العربية للمرة الاولى الى . . . صالات الحمامات ودور الخلاء في الفنادق ! . . وفي احد فنادق بارك لين بهايد بارك كورنر ترى في الحمام لافتة مكتوبة باللغة العربية (تعلم) العرب كيفية مراعاة النظافة في (الحمام) وغيرها من التفاصيل الحميمة ! . . هذا بالاضافة الى وجود (ملحقين عاطفيين) في مكاتب تأجير (الفتيات الدليلات السياحيات !) يتحدثون العربية بطلاقة لتلبية طلبات الزبائن العرب دون اي خطأ ولو طفيف في لون

Akhawia.net

الشعر او الوزن (الفكري) للدليلة ، او بقية المواصفات والمقاسات ! . . .

الظاهرة نفسها بدأت تتسلل . ليس الى المطاعم التي تقدم وجبات عربية فحسب ، بل الى المطاعم التي تقدم فاتورة لا يقدر على دفعها غير (ثري عربي) أيضا . . وصرت ترى اللغة العربية تطل عليك باستحياء في هذه الاماكن وغيرها . . .

أما في المتحف البريطاني وكراساته ولافتاته ، فلم يجر بعد أي تعديل لمواجهة متطلبات (الوجود العربي) في لندن ، ربما لانه غير موجود على الاطلاق في أمكنة (مملة) كالمتحف البريطاني مثلا ، او امكنة ذات طبيعة ثقافية « غير استهلاكية » . .

من هنا تأتي أهمية مهرجان العالم الاسلامي الذي يقام في لندن . . . والذي ينقل صورة مشرقة عن دور العرب كمشاركين في صنع الحضارة الانسانية . . .

ومن هنا تأتي أيضا أهمية المحاولات العربية الحالية العديدة لاصدار منشورات عربية في لندن باللغة الانكليزية . وعسى ان تحمل هذه المنشورات او بعضها الصوت الحقيقي للجماهير العربية ونبضها وتطلعاتها وكفاحها . . . وصوت مناضلينا العرب الذين يروون الارض بدمهم لا صوت (مناضلينا) في كاباريهات لندن الذين يروون ليلها بنقودهم التي هي أصلا نقود المئة والستين مليون كادح عربي ضد التخلف والامية والقهر السياسي والاجتماعي . . .

* * *

الاحصاءات تعطينا صورة مروعة عن هذا التخلف . تقول : من بين اربعة وعشرين مليون طفل عربي تحت الرابعة من عمرهم ، هنالك عشرون مليون طفل تربيهم أمهات أميات تماما ! . .

ومع ذلك ، فان بعض اثريائنا العرب ينفقون في ليلة واحدة لارضاء امرأة أوروبية ، نقودا تكفي لمحو الامية بين أمهات قريته جميعا ! . . ودونما خجل او خوف من عقاب الشعب الذي يمهل ولا يهمل ! . . .

Akhawia.net

الكويت ١٠/ ٥/ ٧٦

تحولت الى سمكة نسيان

اسبوع في الكويت . . .

وارتميت فوق قرص الشمس وكان الشاطىء يلهث تحت جسد الامواج ، وكان قلبي مثقلا برائحة البارود ، وفوق عيني اجساد عشرات القتلى ، وكانت ذاكرتي رصيفا للموت مصادفة . . .

اسبوع في الكويت . . .

وتقلبت فوق قرص الشمس فدارت بي وسط السماء ، دارت ودارت بسرعة ، وتطايرت ذاكرتي في الاتجاهات كلها ، وامتدت يد النسيان الحنون تحصي جراحي ثم تخيطها . . . وركضت على الشاطىء مثل تمساح استوائي صغير يطارد ذيله . . . وسبحت مع مئات الاسماك الشفافة وكانت تحدق بي بعيونها الطفولية الفضول ، ثم تحولت الى سمكة فالتصقت بي سمكة أخرى وصارت تروي لي حكايا الاعماق واسرار البحار منذ اقدم العصور . .

* * *

. . . وليس في الدنيا رجل يشبه رجلا اخر . . . وليس هنالك شاطىء يشبه شاطئا اخر او بحر يشبه بحرا اخر . . .

هذا ما يكتشفه عشاق البحر الاوفياء لحبهم . وبحر الكويت متميز الاصداف يختلف تماما عن بحر بيروت (المتوسط) ، او بحر ويلز ببريطانيا (الاطلسي) او البحر الاحمر في عدن ، او اي بحر اخر سبحت فيه واتحدت بمخلوقاته على الشاطىء ووسط الماء . . .

ملايين الاصداف منتشرة . . وقبائل هائلة من السمك الصغير تنزلق على جسدك هاربة منك واليك وانت تسبح . . . طعم الملح مختلف ومتميز . شكل اعشاب البحر مختلف الالوان . . ايقاع الموج ، وصوت الريح ، واسراب (الكوكسينيل) باجسادها البرتقالية الدقيقة المنقطة بالاسود وهي تحط فوق جلدك الحار وتطوي جناحيها الشفافين البنيين . . .

Akhawia.net

وأتعب . . . وتركض قبيلة الاسماك سابحة نحو القاع ، فالحق بها قليلا ثم اتذكر انني لست سمكة تماما فاعود الى الشاطىء وارتمي من جديد فوق قرص الشمس . . .

وتحط فوق كتفي جرادة حمراء الجناحين ترحب بفوران الحياة حولها ، وتقفز من كتف الى الاخر في حيوية مدهشة . . فأقول لها :

بعد غد اعود الى بيروت . . . مثلك انا احب هذا الكون الجميل . . . ليتني لا اقتل برصاصة طائشة . . .

وتهز الجرادة قرنيها الصغيرين موافقة ، ثم تطير . . .

فأتابع حواري مع سلطعان وردي . . .

* * *

واخيرا شاهدت « الطوز » في عاصفة رملية . . جاء يزحف ذات مساء بجسده الممتد على طول الافق والسماء . . .

هاجم الكويت مع الغروب . . . كان يركض في الشوارع بسيقانه الدقيقة الغبارية ويعربد فوق النوافذ متسللا الى الداخل ، كالاشباح لا تراه يدخل لكنك تجده هناك ، وحولك ، طبقة من الغبار تغطي كل شيء . . . تغطي الطاولة والكرسي وصفحة الورق التي تكتب عليها وكوب الشاي وافريز النافذة . . .

تجده فوق اهدابك . . . فوق بؤ بؤ عينيك . داخل شفتيك . . داخل حنجرتك . . داخل اذنيك . . . تحت لسانك . . . وتتذوق طعم التراب ومعه تتذكر الموت . . وطعم التراب الذي لا بد ان يحشو به القبر فمك ذات ليلة كهذه . . .

تقف امام النافذة وتتأمل عاصفة « الطوز » مذهولا كما وقفت انا . . .

انها ليلة ٩ ـ ٥ ـ ٧٦ ، وانا احدق من النافذة المرتفعة ، وفي القاع ، امتدت الكويت رقعة شاسعة من الاضواء جميلة وملونة مثل مجوهرات ساحرة تركض في العاصفة . . .

وادركت معنى التحدي الذي تواجهه مدننا العربية في الصحراء . . . و « الطوز » يركض ليغطي الليل بعاصفة رملية جنودها ملايين ذرات الرمل الدقيقة ، امتلأ قلبي بالغبطة وانا اتذكر ان الانسان العربي في اكثر اقطارنا العربية الصحراوية قد استطاع ان يقطع خطوات كبيرة في درب الانتصار على الصحراء ، وبحرها الرملي الشاسع ، وامواجها الغبارية التي تمد اذرعها الاخطبوطية لتطال كل شيء ولتدخل الى كل شيء . . . .

Akhawia.net

وعند منتصف الليل تدفق المطر . . . وبدأت السماء تغسل زحف الصحراء في الارض . . .

امطرت طويلا طويلا . . وكانت السيارة تركض بنا في الشوارع ، وأغنية كويتية تصرخ بلوعة عربية حادة المذاق :

« سرى الليل يا قمرنا
ولا جيت في سهرنا
أتاريك يا قمرنا
خداك الليل والهوى »

واترك انغام الاغنية الحزينة تمتلك روحي، واترك (عروبتي) في المشاعر تحتلني لأغرق في حزن عاطفي مبهم . . واتذكر الاغاني (عتابا وميجانا) السورية . . وانصت الى مرادف كويتي لها . . والمطر ينهمر واحزاني تمتزج بهذا النهر العجيب من المطر والآهات . . .

تلك الليلة . . . كان المطر دموع النسيان !

Akhawia.net

الكويت ١٥/ ٥/ ٧٦

يومياتي في الكويت

الطائرة من جديد . .

جسدي مشدود الى المقعد بحزام . . أما « أنا » فجالسة على جناح الطائرة في الخارج ، وقد اداليت قدمي في بئر الليل ونشرت شعري على صفحة السماء وفي حلقي انشودة توق الى الحرية والمجهول يمتزج مع زعيق محركات الطائرة في لحن عصري حزين من شقهات الروح الممزقة بين اسنان الة ما ، الملطخة بزيوت التشحيم .

الطائرة من جديد . .

منذ اسابيع ثلاثة كنت في طريقي الى الشمال . . الى جنيف . . الى ثلوج غشتاد . . وكان للطائرة مذاق التابوت . .

هذه المرة أنا راحلة الى الجنوب . . الى الشمس . . الى الدفء . . والطائرة فراشة عملاقة . . احلم برجل لا اعرفه ، ذقنه مغارة حب . .

الطائرة من جديد . .

والليل قد زرع زهوره السود الغامضة على طول السماء والارض . .

ثمة شق من نور عند الافق . . يلوح مثل كوة تنفتح على الطرف الاخر من العالم . . مثل عتبة امام درب اخرى (حبيبي الذي لم يعد حبيبي يقطن الطرف الآخر من العالم . . لكن الخنساء ليست جدتي . ولن اقضي بقية عمري أبكيه . . أنا بنت اللحظة . أعلن عصياني على البارحة . . والماضي . . والذكريات . . وكل الاسماء البراقة لجثة ما كان)

ولكن هل استطيع ذلك حقا ؟ . .

هل استطيع مثلا ان انسى مشهد الجثث في بيروت وانا في دربي الى المطار ؟ . .

(كانت مرمية تحت الجسر . متورمة ومنتفخة وقد تمزقت ثيابها . رائحة نتنة تفوح منها مختلطة مع رائحة احراق القمامة وابخرة البارود . هذه البقايا كانت الى ما قبل ايام رجالا يضحكون ويأكلون ويحبون ويمرضون ويضمون الى صدورهم زوجاتهم واطفالهم . .

Akhawia.net

بينهم من مات مصادفة ودونما معنى . . ولكن بينهم من مات عن سابق تصميم وتصور ، لاجل مثل ما ، يؤمن بها . .

وعما قريب يأتي دوري لآخذ موضعي بين الجثث تحت الجسر . . فهنالك قيم كثيرة اؤمن بها ، ربما الى حد الموت لاجلها ، بل والحياة لأجلها . . لا يستطيع أي فنان ان يكون حياديا ما دام لا يستطيع ان يكون خارج قضايا مجتمعه .

تحت الجسر شاهدت جثتي وقد بدأت الجوارح تلتهمها . .

لملمت الشال حولي . الان انا هنا في الطائرة . . لتكن اجازة نسيان ، كي اكون اكثر قدرة على العطاء بعد عودتي . .

الان يجب ان انسى . . انسى . . أ . . ن . . س . . ى . . اعرف انه سيأتي يوم احب فيه الموت لاجل مثلي بقدر ما احب الحياة الان لذاتها . .

وربما يحدث ذلك . .

فلانسى . .

الطائرة من جديد . .

وعشب الليل الاسود يكسو مروج السماء والارض . .

في القاع ضوء وحيد وسط الظلمة اللامتناهية . . ترى من يقطن هناك ؟ ولماذا هو وحيد هكذا ؟ ام تراه نجم هوى الى الارض . .

(بين ذراعي هوى . . كان ينزف والانفجارات تتوالى والاجساد الممزقة تتناثر حولي وترتطم بي.وبالجدار خلفي . . لم اكن ادري فيما اذا كنت قد اصبت ام لا . . لم اكن ادري فيما اذا كان ذلك الدم الذي يغطيني دمه أم دمي . . صرخت باسمه . . وللمرة الاولى لم يجب . . وعرفت انها المرة الاخيرة له بين ذراعي) . .

والطائرة تبحر بي بعيدا . . تصمت محركاتها . . تتحول الى منطاد صامت يعوم بي الى كوكب جديد . . القمر الجديد يبزغ من احد محاورها دعوة الى التجدد . . وانا لا املك الا ان استجيب لنداء القمر كما تستجيب له امواج البحر . . واحس بمده وجزره في قاع روحي . .

أظن ليلة ١١/ ٥/ ٧٦

* * *

لم انم جيدا . .

لم تطلق رصاصة . لم تنفجر قذيفة . لم يضيء برق القنبلة ثم صفيرها قبل لحظة

Akhawia.net

الدوي . . ربما لذلك لم انم جيدا . .

ان طاقة الجسد البشري على التكيف لا تصدق . . حتى على التكيف مع ليل الموت والدمار . . وليل الكويت عادي . . وانا قادمة من مدينة غير عادية .

لم استيقظ جيدا . .

عيناي مغمضتان ولا اعرف كم الوقت ولا يهمني ان اعرف . . . لكنني اسمع صوت الامواج عبر نوافذ الفندق البحري . . واشعر بالفرح لانني لم اجد غرفة فارغة في اي من الفنادق الكبرى بالكويت . .

ها أنا اسكن البحر من جديد . . تأتيني ضحكات الاطفال ممزوجة بصوت ارتطام اجسادهم الشفافة بماء البركة تحت نافذتي . .

تأتيني الشمس عبر النافذة واحس بلسعها فوق وجهي : تنقر باب جفوني ، فأفتحها . .

انه البحر . . بيتي الحقيقي . .

يوم اموت سأطلب اليهم احراق جثتي ، ونثر رمادي الملون فوق البحار كلها . . حفنة فوق كل بحر ، لانبت في القاع مرجانا وفي الاصداف لؤلؤا اسود . .

اركض الى الماء . .

اتمدد فوق قرص الشمس فيدور بي ، وتتناثر من دماغي اسماء اصدقائي وصديقاتي الكثر الذين اشتاق الى لقائهم بالكويت . .

استحيل حيوانا بحريا صغيرا يقفز على الرمل . . يضحك في ارجوحة اعشاب الماء . . يتحدث طويلا والاسماك . . يخونها مع سلطعان عابر . .

اه الشمس . . اركض على وجهها دونما خوف من رصاصة قناص . . ثم استرخي في رمالها وأطمر نفسي حتى العنق ، ويمر بي سرب من الجراد يحدق بي مذهولا ، فأقول له انا شجرة فلا يصدق ، ويطير وأطير معه . . وأصير جندب حقل صغير . .

انه الصباح . . انه المساء . .

والمسافة بينهما لحظة استرخاء . .

وأنا قد نسيت اسمي . .

الهاتف يرن . يقولون لي اسمي ، فأرتدي قناعي لالعب دوري على المسرح . .

خففوا الاضواء . . فجرحي عميق ومرهف . . لا تتشاجروا امامي لاجل خلافات اجتماعية ـ أدبية وتفاصيل هشة ،

Akhawia.net

فأنا قادمة من كوكب الجوع والثورة والفداء وكل ذلك يبدو لي ترفا فكريا في عالم من النزف . .

لا اهمية لسوء التفاهم الذي ننفخه احيانا ليكبر كالبالون . . .

ففي الخارج ينتظرنا الموت والغربة والمرض . . وهنالك ايضا الشمس والحقول التي لم نزرها بعد . .

هدوءا . . انصتوا لقلوبكم المنسية . . ذلك الذي يجري فيها هو دم حقيقي وليس نفطا . .

* * *

الجمعة او الاثنين

لقد غسل البحر ذاكرتي ، وتبعثرت هوادج الايام في الصحراء الشاسعة الرائعة . . ولم اعد اميز اسماء ايام الاسبوع . .

الجمعة ام الاثنين ؟ لا يهم . . ما الفرق ما دمت احيا . .

وصوته عملاق الحزن يأتيني فجأة . . يطلع الي من قحط اللانتظار . . يشرق من افق المفاجأة . . اعطاني لفافة فدخنتها قبل ان الحظ ذلك . . وعرفت انه قادر على املاء ارادته علي بطريقة ما . .

ايها الحزين حتى الضحك . . . الشرس حتى العذوبة . . سعيد من له مرقد قلب في عالمك . .

* * *

الثـلاثـاء او الخميـس

تم القبض علي من قبل اصدقائي واحبابي متلبسة بجرم زيارة شمس الكويت دون بيوتها . . وشواطىء الكويت دون شوارعها . . ومواكب موجها دون موائدها . . وكثبان رمالها دون مكاتبها . .

وتم جلدي في ساحة المحبة بالعتاب الرقيق ، واعترفت بجرمي دون اعلان توبتي ، وعدت الى مواقعي في البحر وقد شهرت انياب نزواتي . . قررت ان اصير جزيرة .

(كيف استطعت يا غريب ان تمد جسدك المشدود كالرمح جسرا الى عالمي المتوحش ؟) . .

الاربعاء او الاحد

الزيارة الوحيدة التي قمت بها في الكويت كانت الى المستشفى .

Akhawia.net

. . التقيته للمرة الاولى بعد تسع سنوات الا قليلا . . كان أخـا لي ، غدرت به الايام . .

في الدرب اليه تذكرت وجوه عشرات من اخوتي في الـكويت الـذين احـب ان ازورهم ويحبون ان ازورهم ولم أفعل .

انهم ليسوا بحاجـة الي . انهـم يملـكون الشـمس والحـرية والقـدرة على اخـراج اجنحتهم من تحت ثيابهم والطيران .

لقيته . غمرني بؤس حقيقي . .

فمن جدران المصح الهادىء كانت تسيل صرخات صامتة لأوجاع لا متناهية . .

تسعة اعوام . .

رحلت خلالها مئات المرات . . طاردت مئات النجوم . . دمرت مئات المنارات . . ضحكت بكيت . . رقصت تمزقت . . وهو وحيد هنا ، ومحبة اسرته له ، ومحبة إخوانه له ، ومحبة العالم اجمع لا تملك له شيئا ولا تقوى على حمل صليبه ، ولا تستطيع اختراق شرنقة اوجاعه . . .

اه كم الانسان وحيد وحيـد وحيـد . يولـد وحيداً ويموت وحيداً ويتعذب وحيداً. كم غربة الانسان داخل جسده حقيقة لا تستـطيع كسرهـا لا الصداقـة ولا المحبـة ولا القرابة . . وكل منا سجين اقفاص غربته ، والكرة الارضية سجن واحد كبير ، والجسد قفص للروح . .

وغادرته وفي حنجرتي ثقب تهرب عبره الكلمات . . وحين جاءت الصديقـة ليلى حاملة جهاز التسجيل لحوارنا الاذاعي اشرت الى الثقب في حنجرتي ففهمت . وجلست واياها ومني ، وقرع الحزن الباب فادخلناه وصمتنا ، وتركناه يثرثر .

* * *

الخميس او السبت

الاختان الكويتيتان غنيمة ونوال ، ارى عبـرهما الوجـه المشرق لامـرأة الـكويت العاملة . .

كان احتكاكي بهما يوميا ، وعرفت عبرهما عن صمود الكويتية واحترامها لعملها اكثر مما تملك نقله كراسات الدعاية كلها . . .

فقد كان اللقاء عفويا . .

ومع راوية طفت في شوارع الكويت كالسهم ، وكان علي ان اصدق ان هذه الابنية

Akhawia.net

والحدائق والاضواء قد انتشرت على وجه الكويت في اقل من عشر سنوات . . منذ زيارتي الاولى لهذا البلد . .

وادركت انني ببساطة قد زرت الكويت هذه المرة دون ان ازورها . . وصرت أعرف عن بحارها اكثر مما اعرفه عن مؤسساتها . . واعرف عن اسماكها اكثر مما اعرف عن أهلها . . وعذري انني هاربة من الحرب الثائرة بلبنان لاعود اليها بعد ايام . . وان حاجتي الان الى الاجازة هي اكبر من حاجتي الى المعرفة . .

وهكذا ادركت وأنا اتعرف على معالم الكويت كم اجهلها . .

وتمنيت ان يكون ذلك الزخم البنائي انعكاسا لزخم بنائي داخل الانسان الكويتي نفسه ، لا لمجرد قشرة من ذهب . .

تؤكد لي راوية ذلك . . تقول ان بناء البيوت الحديثة ليس على حساب تدمير الاسرة . . وان غرس الاشجار ليس على حساب قطع جذور الفرد الكويتي في تربة الاصالة العربية . .

ثم جاء « الطوز » ليلا وفهمت معنى ان نزرع في الصحراء زهرة . ارى كثبان الصحراء تزحف علي بملايين من سيقانها الغبارية الدقيقة كوحش اسطوري . . تتسلل الى كل شيء من خلال كل شيء لتجتاح الدنيا . . تتسلق الاضواء والاشجار والاجساد الراكضة واسلاك الكهرباء واجنحة الطيور لتكفنها بتراب الموت . .

ووعيت معنى ان تقف في وجه الصحراء وتتحداها وتبني مدينة ونهرا وشجرة ومصنعا . .

ثم انفجر المطر . . وبدأت السماء تغسل ذنوب الرمال . . امطرت طويلا بعدد قطرات المحبة حين تشرق في الروح بعد عاصفة فراق رملية . .

* * *

الاثنين أو الاثنين

وهل اراك ثانية ؟ . .

وهل اهمس داخل رأسك : اشهد ان لا حب الا حبك ؟ . .

وهل تلقي بظلك العملاق على الغجرية محروقة الخدين ؟ . .

وهل . . وهل . . ومتى ؟ . .

ربما كان اروع ما فيك هو انني لا ادري . .

Akhawia.net

الثلاثاء بالضبط

واعرف انه الثلاثاء . .

واعرف جيدا اسمي . . واعرف جيدا انني عائدة الى المدينة التي تولد او تحتضر . .

وأعرف جيدا ان اسمي هو مشروع ذبيحة . .

وأعرف انني عائدة . . لاقاتل على طريقتي . . شاهرة قلمي وغضبي . . واذا مت في أزقة بيروت المزروعة نارا ودمارا فسيكون موتا حقا ، فقد احببت الحياة حقا . .

الى اللقاء ؟ . . . .

Akhawia.net

جنيف ٢٥/ ٥/ ٧٦

وداعا عالم الفنادق المكهربة

رحلة عمل

وجنيف تستقبلني كسحابة من التخدير الملون . تفتح ذراعيها لتضمني الى قلبها الافيوني السكينة ، لكنني لا استطيع ان اخطو عبر عتبة الوعي الى حجرات النسيان . .

حين تسبح هموم وطنك في دمك كالاسماك الفسفورية ، تعجز عن النسيان ولو للحظة واحدة . . .

حين يصير القلب خارطة للوطن ، يصبح الهرب مستحيلا . . .

* * *

. . . ويقدمون لك طعام الافطار . . . وجريدة صباحٍ خالية من النعوات واخبار الوفيات . . وعدة زهرات تزين مائدتك . . .

تتأمل ورودهم . . .

انها جميلة . . . كأنها مصنوعة من مخمل مدهش التقنية . . . كأنها خارجة من معمل كله « تكنولوجيا » راقية . . .

ورود جنيف جميلة ونظيفة ، حتى كأنها مزروعة في الثلج لا في التراب . . .

تذكرت ياسمين دمشق ، العابق برائحة التراب والمطر . . . الصغير الحنون . . .

وشهقت شوقا وهلعا . . وخلف النافذة كان يقبع عالم من البرود المحايد . .

* * *

وكل ما في الفندق يتحرك بدقة ساعة سويسرية . . . الا انا . . . ألمس مقبض الباب الفولاذي ، فيخرج البرق من تحت اظافري . . .

لا ألمس شيئاً حولي إلا وأتكهرب وأصرخ بصمت . . .خادمة الفندق لديها تفسير علمي . تقول ان الامر يحدث لجميع النزلاء . وان اسمه « الكهرباء الساكنة » . . . (فالموكيت) السجاد غير الاصلي يشحن الجسد بطاقة كهربائية ، ويتم نقلها الى اي شيء معدني تمسه . . .

ولكن الامر كان يحدث لي بشكل آخر . . . كانت الريح الباردة تكهربني . . .

Akhawia.net

الاصوات الغريبة . . همهمات الغرباء في الدروب . . . السماء . . . الاشجار . . . الازهار النظيفة كثوب ممرضة في مصح عقلي للاثرياء . . .

آه عالم الفنادق المكهربة كم امقته ، انا ابنة الريح والتراب والصيف العربي الحار . . .

* * *

الدرب الى غشتاد طويلة وحزينة . . اسراب السيارات قافلة من النمل المنتظم . . . والسيارة تركض بنا عبر لوزان ثم ايجيل نحو ليسين ثم غشتاد . . .

طرقات الالب السويسرية نظيفة كورود جنيف .

افتقد غبار دروب جبال لبنان . . . وتركض في عيوني طرقات طالما مضيت فيها . . . الدرب الى كربلاء والنجف في العراق . . الدرب الى اللاذقية ، وصافيتا ، والدريكيش بسوريا . الدرب الى أبين . . الى حضرموت . . . الى يافع في اليمن . . .

آه غبار دروب عرمون . ورائحة الغابات والريح والدفء . . .

آه رائحة زهر الليمون الحار . . .

واشهق . . .

واحس بأنني سمكة اخرجوها من مياهها ليجرجروها على اسفلت الالب السويسري ! . .

آه هذا العالم المروع الدقة والنظام والبرودة . . . عالم الفنادق المكهربة . . .

اعيدوني الى بحري الدافىء . . .

* * *

وعالم الفنادق المكهربة في اوروبا مليء بالعرب . . . وتحيط بهم الورود المخملية ، ورود الثلج .

وخلف النوافذ يشهر الليل البارد اظافره ويقبع رابضا محايدا حتى العدوانية . . .

واشعر بالحنين الى اية ارض عربية . . . اي وطن عربي بكل ما فيه من اوجاع وامراض وسقطات . . .

واصلي . . . (منذ دهر لم أصلّ !) . .

اصلي من اجل الذين هاجروا من الوطن العربي لاي سبب . . .

ايا كانت مآسينا في بيروت او اية عاصمة عربية اخرى ، فانها تظل في نظري خيراً من هذه العودة المحزنة الى مستنقع الغربة . .

Akhawia.net

اصلي من اجل الراحلين عن بيروت لا من اجل الباقين فيها . . .
واودع وردة الثلج ، واعود الى وردة البارود ببيروت . . .

* * *

ان ثروات العالم اجمع عاجزة عن شراء ذلك الشريان الذي يغرسه الانسان في تربة وطنه . . . ليحيا . . . لا ليعيش فقط ! . .

وداعا عالم الفنادق المكهربة ! . .

Akhawia.net

□ لقد رحلت غادة السمان وكتبت بحسّ إنساني، وبإيمان بأن كنوز العالم أجمع عاجزة عن شراء ذلك الثريان الذي يغرسه الإنسان في أرض الوطن.

أدونيس عزّت

□ رحّالة واعية وذات موقف قومي تروي قصة الرحيل إلى الانتماء عبر مضيق الغربة، الرحيل نحو الانتماء الواعي الاختياري لا المتوارث شبه الإرغامي.

سعاد غنيم

□ أكثر كتب غادة السمان فائدة ومتعة.. والمؤلفة في ترحالها لا تتخلى عن كونها عربية ترى الأشياء بعينين عربيتين. وفي إحساسها بهذا الانتماء تبدو غادة - وعلى عكس الكثيرين - خالية من عُقد النقص: لا تعلن انبهارها بأي شيء. إنها تغزو المدن والحضارات غير وجلة...

إبراهيم العريس

□ إنتماء غادة السمان يجب ألا يُفهم فهماً سياسياً أو ايديولوجياً ضيّقاً بقدر ما يجب أن يتحدد كارتباط بهوية اجتماعية وإنسانية وقومية. غادة هي أولاً وأخيراً روائية تكتب يومياتها التسجيلية. لهذا فإن المناخ القصصي يلفّها في سياق روائي واحد.

بول شاوول

□ لقد كتب العرب فصولاً لا تُنسى في أدب الرحلات (المسعودي وياقوت وابن بطوطة). وإذا كانت السمة الرئيسية لتلك الفصول سمة وصفية، فإن غادة السمان تضيف لهذه السمة بُعدها الفكري. فالغربة وضعت غادة أمام مسؤوليتها ككاتبة ملتزمة، وهمّ الوطن جعل من الكتابة الصحافية عملاً إبداعياً.

نزار العاني

Akhawia.net